وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية



شعر السجن عند المعتمد بن عباد

- دراسة فنية -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:

بسمة مخلوف

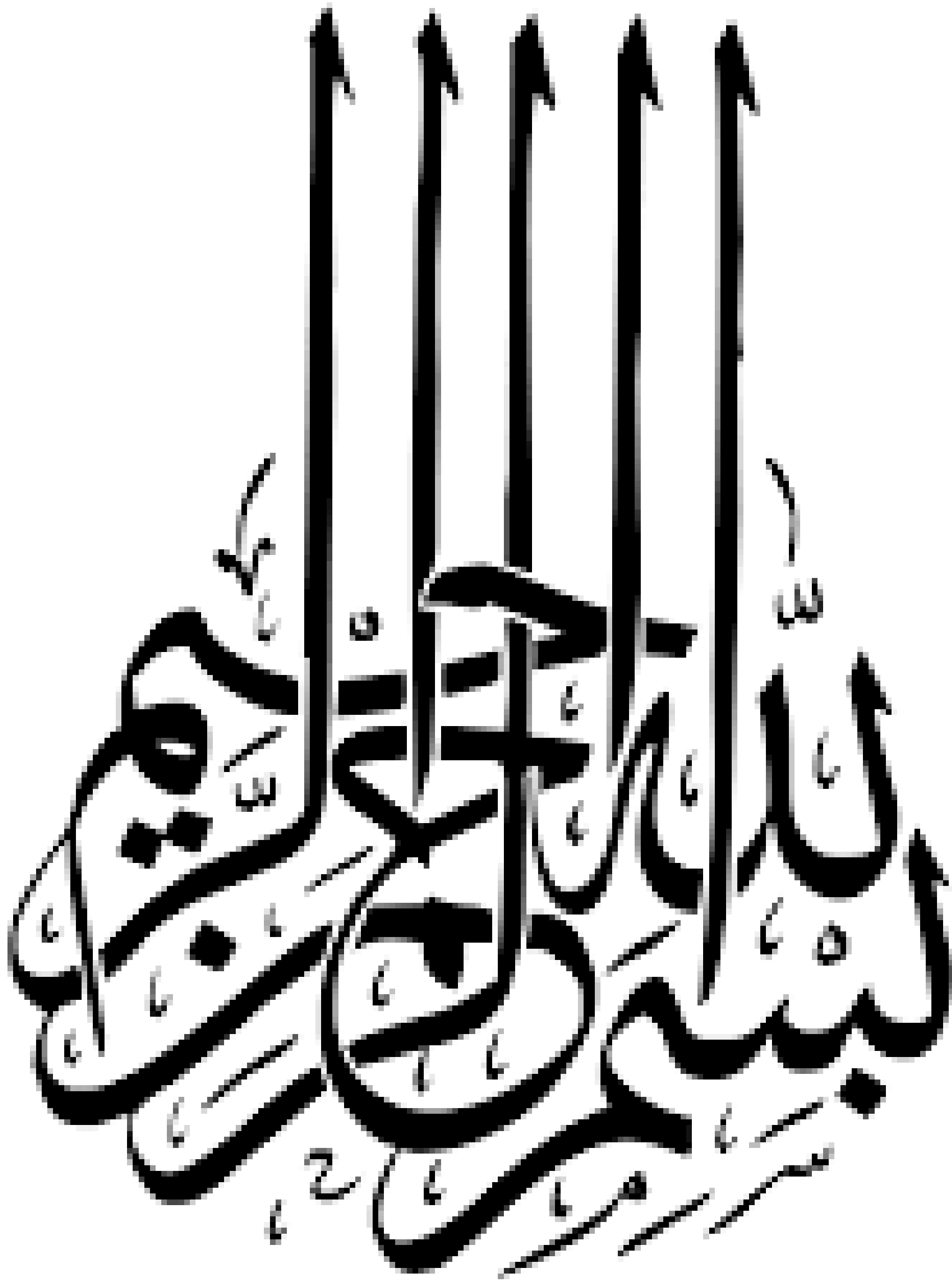
إشراف الأستاذ الدكتور :

امحمد بن لخضر فورار

السنـة الجامعيـة:

1435/ 1436 هـ

2014 -2015 م


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ

سورة يوسف الآية (39)

صدق الله العظيم

شكر و عرفان

قال تعالى:﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» سورة إبراهيم الآية 07، الحمد و الشكر و الثناء الجميل لله رب العالمين على توفيقه و عطائه و إحسانه، و الحمد لله الذي أعاننا على إنجاز هذا العمل و يسر لنا سبل الإهتمام و يعود له الفضل الكامل لذلك.

إن العرفان بالجميل يحتم علينا أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر و العرفان للأستاذ الفاضل "امحمد بن لخضر فورار" على ما تقدم به من إرشادات و نصائح قيمة من خلال التوجيهات التي أمدنا بها،كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الفاضلة دلال بن رمضان التي تحملت مشقة قراءة هذا البحث و التعليق عليه حتى يخرج على أحسن وجه، كما نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة كلية الآداب و اللغات، و إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع.

آملين من الله عز و جل أن يكون مجهودنا في المستوى المطلوب الذي يرضي أساتذتنا.

مقدمة

إن من أصعب اللحظات في حياة الإنسان، هي تلك التجارب الناقلة لبذور الذل و المهانة، و مرارة فقدان الحرية، حينما يستشعر المرء قسوة الحرمان، و هو يوضع خلف قضبان تسلبه إرادته و حريته، و كثيرا ما كانت هاته القضبان مركزا للعديد من الإبداعات الشعرية التي شهد لها التاريخ و حفلت بها اسفار الأدب و النقد، و خصوصا في مجال الشعر الأندلسي، هاته البيئة التي اشتهرت بمثقفيها و علمائها و شعرائها خاصة الذين يشغلون المناصب العليا، و يساهمون في صنع القرارات السياسية من ملوك و أمراء و وزراء، و غالبا ما كانت هاته القرارات هي الدافع الرئيسي للزج بالكثير منهم في السجن فعانوا لوعة الحرمان و ذاقوا مرارة القضبان، و في ظل هاته المعاناة تفجرت قرائحهم الشعرية فقالوا أجمل قصائدهم السجنية، و التي عبروا من خلالها عن معاناتهم اليومية وراء القضبان و خلف الجدران، و هذا ما عايشه المعتمد بن عباد الشاعر، الذي إنتقل من حياة العز و القصور على حياة الذل و الهوان، فقال أجمل قصائده و هو في السجن، و هاته القصائد التي تسمى بالأسريات سيتم التركيز عليها من خلال موضوعات شعر السجن عنده، إلى جانب الدراسة الفنية لشعر السجن، هذا الأخير الذي شغل إهتمام الباحثين و الدارسين، فأردت الكشف عن خبايا هذا الوضوع، كما نساهم أيضا في إعطاء

صورة واضحة عن الشاعر و تلك القصائد الأسرية، و من هنا جاء إختياري للبحث في هذا الموضوع الموسوم بـ: "شعر السجن عند المعتمد بن عباد دراسة فنية".

إذن:

- كيف كانت بيئة الشاعر السياسية و الإجتماعية و الثقافية؟
- و من يكون المعتمد بن عباد؟ و ماهي الموضوعات التي تناولها اثناء مكوثه في السجن؟
- و ما موقفه من هذه التجربة الأليمة؟
- و كيف كان البناء الفني في شعره؟

و انطلاقا من عنوان هذا البحث، و من هذه الإشكالية إهتديت على خطة قوامها كالآتي:

مدخل و فصلين ثم خاتمة، أما المدخل فكان بعنوان "بيئة و حياة الشاعر" و التي تطرقت فيها إلى البيئة السياسية و الإجتماعية و الثقافية، أما حياته فإنها ضمت كل من مولده، و مراحل حياته ثم وفاته، و آثاره.

أما الفصل الأول فقد جاء بعنوان: موضوعات السجن في شعر المعتمد بن عباد، و الذي تناولت فيه تعريف شعر السجن، و موضوعاته عند المعتمد بن عباد، و موقفه من هذه التجربة.

و جاء الفصل الثاني معنونا بـ: البناء الفني في شعر السجن عند "المعتمد بن عباد".

حيث كانت بداية الفصل بدراسة اللغة و الأسلوب لتلك القصائد السجنية، أما الصورة الشعرية فقد تناولت فيها كل من الصور البيانية من تشبيه و كناية و إستعارة، إلى جانب المحسنات البديعية المتمثلة في الطباق و الجناس و السجع، ثم تناولت الموسيقى الشعرية بنوعيها الداخلية و الخارجية.

لتكون الخاتمة في نهاية البحث عبارة عن أهم النتائج المتوصل إليها متبوعة بقائمة المصادر و المراجع، ثم فهرس للموضوعات.

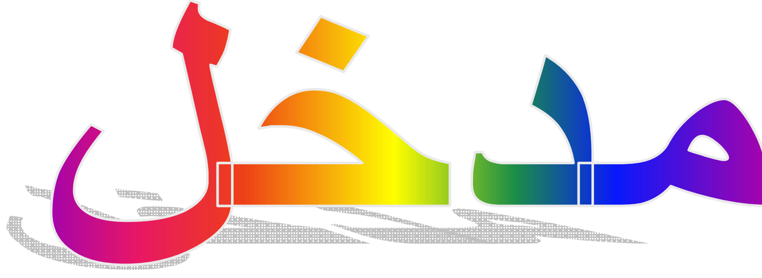
واعتمدت في إنجاز هذا البحث على المنهج التاريخي الذي أتاح لي فرصة الإطلاع على الحياة السياسية و الإجتماعية و الثقافية للشاعر، كما كان المنهج الوصفي سندا لي في هاته الدراسة، إلى جانب المنهج الإحصائي الذي إعتمدت عليه في الدراسة الفنية.

و أعانتني بعض المصادر و المراجع في هذه الدراسة، كان أولها ديوان المعتمد بن عباد من تحقيق رضا الحبيب السويسي، الحلة السيراء لإبن الآبار، أحمد مختار البرزة، الأسر و السجن في شعر العرب، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لإبن بسام الشنتريني، التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني.

و كالمعتاد، حيث نجد لكل باحث و بحث صعوبات تواجهه ليكون عملا ناجحا ذا قيمة، فقد واجهتني صعوبات في جمع شتات الموضوع المتناثرة في أمهات الكتب و بطون المراجع، إذ يعتبر الموروث الأدبي الأندلسي بحر شاسع لا تنتهي الدراسة فيه، إلا أن هذا لم يكن بالحاجز في إنجاز هذا العمل الذي أرجوا أن أكون قد وفقت في دراسته.

و لا بد من وقفة أتقدم فيها بالشكر الجزيل و الإمتنان العظيم إلى الأستاذ المشرف "فورار أمحمد بن لخضر"، الذي كان نعم المؤطر، بتوجيهاته و نصائحه. التي كان لها فضل عظيم علي في تعميق معرفتي بتاريخ الأندلس.

و في الختام نقول: ما دراستنا هذه، إلا دراسة متواضعة لا ترقى إلى مستوى الكمال، إذ الكمال لله وحده، لكن أسأل الله أن أكون قد وفقت فيه، و أن أكون إلى الصواب أقرب، و عن الخطأ أبعد.



بيئة و حياة الشاعر

أولا: بيئة الشاعر

1. البيئة السياسية.
2. البيئة الإجتماعية.
3. البيئة الثقافية.

ثانيا: حياة الشاعر

1. مولده.
2. مراحل حياته.
3. وفاته.
4. آثاره.

أولا:بيئة وحياة الشاعر:

كانت دولة بني عباد من الدول التي يحكمها ملوك الطوائف، وحالها كأحوال الدول اليوم، ثروة تهدر في غير محلها، عزّ تختبئ ورائها مذلّة، وازدهار ليس إلا طلاء سرعان ما يختفي أمام أقل المحن والمعتمد ملك من هؤلاء الملوك ولكنه قبل ذلك إنسانا فيه من الحكمة والقوة ما فيه من الاستهتار والانكباب على الملذّات فعصره الذي ملئ جمالا فّنا وشعرا وعاطفة، ملئ كذلك بالفساد والانحلال والظلم حتى ضاع هذا الملك وضاع بضياعه هذا الشاعر الفنان[1].

أولا: البيئة السياسية و الإجتماعية و الثقافية :

1. البيئة السياسية:

لما انهارت الخلافة الأموية بالأندلس في أوائل القرن الخامس الهجري، انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة، وإمارات مستقلة، وأعلن كل أمير نفسه ملكا، ودخلت الأندلس في عصر جديد عرف باسم "ملوك الطوائف"[2].

[1] ينظر: يوسف عيد، دفاتر أندلسية، المؤسسة الحديثة، د.ط، طرابلس، لبنان، 2006، ص217.

[2] إسماعيل بن إبراهيم بن أمير المؤمنين، تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط من خلال مخطوط «تاريخ الأندلس» تحقيق أنور محمود زناتي، جامعة عين شمس، مصر، (د.ط) ، (د.ت) ، ص 50.

كانت كل دويلة من دويلات الطوائف تتألف من مدينة وما حولها، أو من مدينيتن، وكان ملوكها من عصبيات مختلفة، عربا وبربرا ومولدين (مسلمين إسبانيي الأصل) [1]. وتقسموا ألقاب الخلافة فمنهم من تسمى بالمستعين، والمقتدر، والمعتصم، والمعتمد، والموفق والمتوكل، إلى غير ذلك من الألقاب الخلافية، وفي ذلك يقول أبو علي الحسن ابن رشيق: [2]

مِمَّا يُزَهِّدُنِي فِي أَرْضِ أندلسٍ   سَمَاعُ مقتدرٍ فِيها ومعتضدٍ

ألقابُ مملكةٍ في غيرِ موضعها   كالهر يَحْكِي انتفاخًا صولةَ الأسدِ

وقد اشتهر من ممالك الطوائف بنو حمود الأدارسة في مالقه والجزيرة الخضراء، وبنو زيري البربر في غرناطة، وبنو هود في سرقسطة، وبنو ذي النون في طليطة، وبنو الأفطس في بطليوس، وبنو جهور في قرطبة، وبنو عباد في إشبيلية[3]. و هم يمثلون أهل الأندلس منذ الفتح العربي الإسلامي بغض النظر عن أصلهم العربي أو البربري او القوطي، و قيل إنهم ينتسبون إلى النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة، و اول من هاجر إلى الأندلس من أجدادهم هو نعيم و إبنه عطاف، و قد إستقر في إشبيلية.

---

(1) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي في المغرب و الأندلس، ج4، دار العلم، ط2، بيروت، لبنان، 1984م، ص386.

(2) المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 1426هـ، 2006م، ص59.

(3) علي أدهم، المعتمد بن عباد، المؤسسة المصرية، مصر، (د.ط) ، (د.ت) ، ص7.

و تأسست دولة بني عباد سنة 414هـ/ 1023م، و بوفاته سنة 1433هـ/1041م، خلفه إبنه عباد حيث شهدت إشبيلية أزهى أيامها، طيلة ثمان و عشرين سنة، و بوفاته سنة 421هـ/1029م خلفه إبنه محمد بن عباد الذي لقب "بالمعتمد"[(1)]، فسار على نهج والده في سياسته التوسعية فاستطاع ضم قرطبة إليه و إنهاء دولة بني جهور و ذلك سنة 423هـ.

كما تحالف مع ألفونسو ضد بعض الملوك و منها تحالفهم معه لإحتلال غرناطة أيام وزير المعتمد بن عمار و فشله في مشروعه، و كذلك إستيلاؤه على مرسيه[(2)]، هذا و قد تحقق حلم ألفونسو بعد مدة قصيرة فسيطر على طليطلة سنة 478هـ، و لم يتوقف عند هذا الحد، بل إحتل مدنا و حصونا أخرى، فأحس المعتمد بخطورة الموقف فطلب العون من المرابطين في المغرب بقيادة يوسف بن تاشفين[3] ، و أطلق عبارته المشهورة: «رعى الجمال خير من رعي الخنازير» أي أن يكون مأكولا ليوسف بن تاشفين أسيرا يرعى جماله في الصحراء خيرا من كونه ممزقا للأذفونش أسيرا له يرعى خنازيره في قشتالة.

[(1)] عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، دار النهضة العربية، ط1،بيروت، لبنان، 1423هـ، 2002م، ص218، ص219.

[(2)] ينظر: محمد شهاب العاني، الشعر السياسي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، ص18.

[(3)] محمد السعودي، خالد خليفات، أسريات المعتمد بن عباد، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الأول و الثاني، 2011، ص199.

و بعد أن اتفق الطرفان على ضرورة مقاومة الخطر القادم من الشمال و وجوب تخليص الأندلس من سيطرة الإفرنج، حدثت معركة الزلاقة سنة 479هـ و كان النصر فيها لجيوش المسلمين بعدما تكبد خسائر كبيرة جدا.[1]

فكانت هذه المعركة بمثابة النقطة المضيئة في تاريخ الأندلس، ايام ملوك الطوائف فقد عملت على وقف الإنهيار النفسي لدى الشعب الأندلسي و منطلقا في الدعوة لإستنهاض الهمم ثم لوحدة المسلمين.[2]

كانت هذه هي البيئة السياسية لإشبيلية في عصر ملوك الطوائف، والآن نتطرق إلى البيئة الاجتماعية لإشبيلية وأهم مميزاتها:

2. البيئة الإجتماعية:

إن المطلع على البيئة الأندلسية في القرن الخامس يجد أن المجتمع كان يتكون في الغالب من سكان البلاد الأصليين الذين انصهرت ثقافتهم وعاداتهم بفضل نعمة إعتناقهم الإسلام – في بودقة الشخصية الأندلسية فتزاوجوا أو تصاهروا مع العرب والبربر، فكان من الصعب تفريقهم عن المسلمين الآخرين، وكان عددهم في إزدياد مستمر تبعا لزيادة

[1] ينظر: محمد شهاب العاني، الشعر السياسي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، ص137.

[2] المرجع نفسه، ص137.

إعتناق المسيحيين للدين الإسلامي، وظهر منهم أعلام كبار احتفظوا بأسماء عوائلهم الأصلية كابن بشكوال وبني قومس وبني مرتين وبني غرسيا وغيرها[1].

و قد صنف المجتمع الأندلسي أو الاشبيلي في عصر الطوائف إلى طبقات، وهذا التصنيف لم يكن عفويا – حسب رأينا – بل يخضع إلى معايير كانت بارزة في ذلك العصر، ويمكن حصر هذا البناء في ثلاث طبقات:

أ. الطبقة الارستقراطية :

تميزت هذه الطبقة بحيازة الثروة فأدى بها ذلك الى الغنى، وتشمل أفراد الأسرة الحاكمة وكبار الملاكين والأغنياء، ففي المرية انحصرت في العنصر العربي، حيث انفردت الارستقراطية العربية باقتسام المرية وسيطرت على معظمها عن طريق السلطة، فالمعتصم بن صمادح كان يمثل قمة الثراء والملكية[2].

وملوك الطوائف الذين كانت مصادر أموالهم قليلة، لضيق الأرض التي كانوا ملوكا عليها – عمد والى إثقال كاهل رعاياهم بالضرائب حتى يتمكنوا من الإنفاق على وجوه ترفهم من البناء والمتاع واللهو على الغزو، مما يضطر إليه في العادة عظماء الملوك وإن

---

[1] ينظر :عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة، دار غيداء، عمان، ط1، 1433هـ، 2012م، ص91.

[2] خميسي بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، إشراف مسعود مزهودي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة،2 2006،2007، ص61.

المرء ليعجب حينما يرى دولة كدولة بني عباد في إشبيلية أو دويلة كدويلة بني ذي النّون في طليطلة تنشئ القصور والجنائن وتستكثر من الرقيق وتغالي في اقتناء الجواهر والثياب ويشتري أحدهم الجارية بثلاث آلاف دينار[1].

و ما نلاحظه عن هذه الطبقة أنها كانت الأكثر ثراء في المجتمع الأندلسي وبه استطاعت بسط نفوذها السياسي والإداري، والاقتصادي في الأندلس وهذا ما تؤكده قصة اعتماد الرميكية زوجة المعتمد بن عباد.

عندما رأت الناس يمشون في الطين، فاشتهت المشي في الطين، فأمر المعتمد، فسحقت أشياء من الطيب، وذرت في ساحة القصر حتى عمته ثم نصبت الغرابيل وصب فيها ماء الورد على أخلاط الطيب، وعجنت بالأيدي حتى عادت كالطين وخاضتها مع جواريها، وغاضبها في بعض الأيام، فأقسمت أنها لم ترمنه خير قط، فقال: ولا يوم الطين؟.

فاستحيت واعتذرت وهذا مصداق قول نبينا صلى الله عليه وسلم في حق النساء «لو أحسنت إلى أحداهن، الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خير قط[2].

---

[1] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس، ج4، ص391.

[2] ينظر: أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ، 1968م، مجلد ج4، ص172.

ب. الطبقة الوسطى:

وتظم كبار التجار وأصحاب الأعمال والمشاريع وموظفي الدولة التابعين والملاكين الصغار، بما فيهم المزارعون الكبار[1]، وأصحاب هذه الطبقة لا يتمتعون بترف الارستقراطية وبذخها ولكنهم مع ذلك لا يقاسون الصعوبات التي يقاسيها العامة، إلا أنه كان الأمن الداخلي والعدالة والسلم الخارجي أهم مطالب أصحاب هذه الطبقة من السلطة[2].

وما يمكن أن نخرج به أن أفراد هذه الطبقة لم تسمح لهم الظروف بالحصول على ثروات ضخمة، وبالتالي فإنهم عملوا على حماية ما يملكون ويسعون إلى توسيع ثرواتهم على حساب غيرهم من العامة، قصد الوصول إلى مستوى الطبقة الارستقراطية[3].

وهم ليسوا خطرا على الحاكمين فهم متجهون غالبا إلى الهدوء والمسالمة وإطاعة أولي الأمر[4] ، و لعل هذا ما تميزت به الطبقة العامة كذلك.

---

[1] بولعراس خميسي، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، ص64.

[2] ابن عبد الرحمان سهام، شعر ابن عمار الأندلسي دراسة موضوعية وفنية، إشراف أمحمد بن لخضر فورار، غير منشورة، مخطوط، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، 2008م، 2009م، ص19.

[3] بولعراس خميسي، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، ص65.

[4] ابن عبد الرحمان سهام، شعر ابن عمار الأندلسي دراسة موضوعية وفنية، ص20.

ج. الطبقة العامة (الدنيا):

يعرف عبد العزيز الأهواني العامة بقوله: «العامة ليسوا الدهماء والسقطاء وليسوا رجل الشارع في اصطلاحنا الحديث، وإنها هم المثقفون الذين تسربت إليهم أخطاء من هؤلاء الدهماء أو من تصفيحات النساخ»[1] والعامة هي الطبقة التي تحصل على قوتها من عمل أفرادها، وتتأثر بالظروف الخارجية والداخلية سريعا، ويدخل ضمن هذه الطبقة من سكان المدن، أصحاب المشاريع الصناعية الصغيرة وأصحاب المحلات والأجراء والعاطلين عن العمل والمشردين من أبناء المدن الأخرى والجواري والعبيد، وقدر أحد الباحثين استنادا إلى رسالة في الحسبة للسقطي أجور العمال وأصحاب الحرف في القرن الخامس للهجرة بمعدل درهم ونصف إلى ثلاثة دراهم، وأن معدل سعر الكيلو غرام من الخبز كان يبلغ نصف درهم في ظروف اعتيادية[2].

هذه بعض المظاهر الاجتماعية التي تميز بها المجتمع الاشبيلي في عصر ملوك الطوائف والتي بينت مدى تفشي التعفن الاجتماعي والذي كان نتاجا لإفرازات النظام السياسي للطوائف الذي شجع على مثل هذه الظواهر، فكيف لا تكون كذلك وملوك الطوائف كانوا من أصحاب اللذة والتباهي والتبذير والإسراف والانعزال عن المجتمع.

---

[1] خميسي بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، ص63.

[2] عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة، ص105.

إذن، بعد تطلعنا للحياة الاجتماعية للبيئة الاشبيلية، كان لا بد لنا من معرفة الحياة الأدبية والثقافية في عصر الطوائف، و هو ما سنعالجه في العنصر الموالي.

3. الحياة الثقافية و الأدبية :

«كان عصر ملوك الطوائف عصر تفكك اجتماعي وضعف سياسي، ولكنه كان أيضا عصر زهو حضاري ورقي ثقافي»[1] وبرز في عهد ملوك الطوائف من الشعراء ابن دارج القسطلي (ت421هـ) الذي سمي بمتنبي الأندلس، وابن شهيد أبو عامر (ت426هـ) صاحب رسالة التوابع والزوابع، والشاعر الملك المعتمد بن عباد (ت488هـ) الذي سجل أحسن القصائد في السجن عن المجد الزائل، لذا قال ابن بسام في حديثه عن اشبيلية عاصمة بن عباد وصارت مجمعا لصوب العقول وذوب العلوم وميدانا لفرسان المنثور لاسيما في أول المائة الخامسة من الهجرة حين فرح كل حزب بما لديه[2].

و الملاحظ أن، هذا العصر قد تعددت فيه المدارس وتضاعفت أعداد التلاميذ من الجنسين أولاد وبنات على حد ا لسّواء في جميع أنحاء بلاد الأندلس حيث كان يوجد تعليم ابتدائي وثانوي بكل مدينة وهذا ما أدى بالمقري إلى القول؛ إن كل واحد كان يحسن

---

[1] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس، ج4، ص391.

[2] عمر إبراهيم توفيق، تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس، دار غيداء، كركوك، العراق، ط1، 2012م، 1433هـ، ص128.

الكتابة والقراءة، ويلاحظ المستشرق بيرس أن العلوم الدينية أصبحت لا تحتل الصدارة وحدها إذ أنشئت بجانبها علوم جديدة موضوعها الإنسان[1].

إنطلاقا من هذه المميزات حضيت إشبيلية بمكانة ثقافية وتكوثرت علميا وأدبيا وتحولت إلى مدينة للأدب واللهو والطرب، وذاع صيتها أيام المعتمد بن عباد، فصارت قبلة للشعراء والأدباء، خاصة وأن الرجل كان يملك من المؤهلات الأدبية ما يجعله الراعي الرسمي للثقافة في الأندلس.

كما كانت قبله لابن زيدون وابن عمار الشاعر وتقرر فيها الاجتماع للاستنجاد بيوسف بن تاشفين من التحرشات المسيحية، واختصت بالميل الأدبي وصارت مركز الفن والغناء والموسيقى في الأندلس[2].

هذا فيما يخص الحركة الثقافية بصورة عامة، أما فيما يخص باقي الفنون ونعني بالأخص الموسيقى والغناء، فقد عرفت رقيا خلال عهد الدولة العبادية، ففي حضن طبيعة اشبيلية الجميلة الغناء، وما ترفل به من سحر وصفاء، وما تتسم به من خضرة دائمة وضلال وارفة، ازدهر الغناء، وكثرت مجالس الأنس، أين التقى الشعراء بالجواري

(1) ينظر: حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي، منشورات زرياب، الجزائر، 1993م، ص33.

(2) خميسي بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، ص121.

والغلمان، وتتداول أشعار وكؤوس الخمرة، وأصبح المجتمع الاشبيلي يتوفر على جميع وسائل الحياة الترفيهية مما ساعده على تطوير مختلف هذه الفنون وازدهارها[1].

يمكننا القول في الأخير، إن إشبيلية كانت ثقافيا وأدبيا أحسن حالا من الجانب السياسي والاجتماعي.

ثانيـا: حياة المعتمد بن عباد:

1. مولده (431هـ – 488هـ):

صاحب الأندلس، المعتمد علي الله أبو القاسم محمد بن الملك المعتضد بالله أبي عمرو، عبّاد بن الظاقر بالله أبي القاسم، قاضي اشبيلية ثم ملكها، محمد بن إسماعيل بن قريش اللخمي[2].

أمير الحيرة في الجاهلية، ولد عام 431هـ ونشأ في الحلية والزينة والترف والتربية، وكانت فيه فطنة وذكاء، ولهذا شب منعما و تفتحت ملكته الشعرية[3].

---

(1) إين عبد الرحمان سهام، شعر ابن عمار الأندلسي دراسة موضوعية وفنية، ص24.

(2) الإمام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ج19، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1417هـ، 1996م، ص85.

(3) عيسى خليل محسن، أمراء الشعر الأندلسي، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 1428هـ، 2007م، ص213.

وقد اختلف في تاريخ ولادته، فمنهم من قال: إنها كانت في ربيع الأول من عام 431هـ[1] بينما قال ناخرون إنها كانت في الشهر نفسه من عام 432هـ[2].

ولاه أبوه حكم مدينة شلب في الجنوب الغربي من الأندلس ونزل قصر الإمارة المسمى «الشراجيت» وتعرف عليه ابن عمار الشلبي، وكان شابا مثله، وفيه مجون مع فقر وحرمان فأغواه وأغراه بالخمر والمجون والسماع وترامت إلى أبيه أبناء لهوه فاستدعاه إلى اشبيلية وكان في العشرين من عمره فأخذ يدربه على الحكم[3].

وكان ملك بني عباد ثلاثا وسبعين سنة للمعتمد منها ثلاثة وعشرون. [4]

وينتسب بنو عباد إلى اللخميين من ولدا النعمان بن المنذر بن ماء السماء، وبذلك كانوا يفخرون ويمدحون وهذا ابن اللبانة، يقول: [5]

مِنْ بَنِي الْمُنْذِرِينَ وَهُو انْتِسَابُ زَادَ فِي فَخْرِهِ بَنُو عَبَّادِ

فِتْيَةٌ لَمْ تلد سِوَاهَا الْمَعَالِي وَالْمَعالِي قَلِيلَةُ الأَوْلَادِ

قيل: هو من ذرية النعمان المنذر صاحب الحيرة.

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1984م، ج4، ص128.

(2) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس، ج4، ص213.

(3) عيسى خليل محسن، أمراء الشعر الأندلسي، ص213.

(4) ابن الآبار ، الحلة السيراء، ص65.

(5) المدر نفسه، ص58.

حكم المعتمد على المدينتين قرطبة واشبيلية، وأصلهم من الشام من بلد العريش، وكان شهما صارما، داهّية، ذبح جماعة من أعوان أبيه وصادرهم، وعلا شأنه ودانت له الأمم[1] .

2. مراحل حياتـه:

يمكن أن تقسم مراحل حياة الشاعر المعتمد بن عباد إلى ثلاث مراحل سنحاول التفصيل فيها على الترتيب:

أ. مرحلـة الإمـارة "الأمير":

بويع للمعتمد بالإمارة بعد أبيه المعتضد سنة إحدى وستين وأربعمائة، وأفضى الأمر إلى ولده وهو في ريعان شبابه وكمال جماله، إبن تسع وعشرين سنة وشهرين وأيام زائدة، وكان المعتمد من الشجعان العقلاء، والاجواد الأسخياء المأمونين عفيف السيف، مخالفا لأبيه في القهر، والسفك والأخذ، إلا أنه كان مولعا بالخمر، منغمسا في اللذات، عاكفا على البطالة، مخلدا إلى الراحة، فكان ذلك سبب عطبه وأصل هلاكه[2] حيث كان المعتمد أيام ملك أبيه المعتضد في مدينة شلب ينعم بالملذات والشباب الغض[3] وتعرف

[1] الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص58.

[2] إبن الآبار، الحلة السيراء، ص53،52.

[3] بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دار نظير عبود، بيروت، (د.ط) ، (د.ت) ، ص149

عليه ابن عمار الشلبي، وكان شابا مثله وفيه مجون، مع فقر وحرمان[1] وهو أسن منه – رجلا مغامرا ومن أصل وضيع جدا لا يملك ما به يسد رمقه فرأى أن يتخذ الشعر وسيلة للعيش، ومن ثم تعرف المعتمد عليه ولازمه بشلب لما وجده في صحبة هذا الشاعر من نظم رائق وموسيقى عذبة، فكان الرفيقان يقضيان أوقاتهما في مجالس الإنس داخل القصور الفاخرة بين الجواري والغلمان والمطربين والمطربات، وكؤوس الخمر[2].

وهناك شخصّية أخرى تجلّت في بلاط المعتمد هي اعتماد الرميكية التي كانت جارية تاجرة من مياسير اشبيلية يسمى "رميك" [3] وفي المسهب والمغرب أن المعتمد ركب في النهر ومعه ابن عمار وزيره، وقد زردت الريح النهر، فقال ابن عباد لابن عمار أجز:

صَنَعَ الرِّيحُ مِنَ الْماءِ زرِدْ

فأطال ابن عمار الفكرة، فقالت امرأة من الغسّالات:

أيّ دِرْعٍ لِـ قِتالٍ لو جمدْ

فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به، مع عجز ابن عمار، ونظر إليها فهي في صورة حسنة، فأعجبته فسألها:

---

[1] عيسى خليل محسن، أمراء الشعر الأندلسي، ص213.

[2] حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص38.

[3] آنخل جنالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط)، (د.ت)، ص95.

أذات زوج هي؟ فقالت: لا، فتزوجها، وولدت له أولاده الملوك النجباء، رحمهم الله تعالى[1].

ب. مرحلة الملك:

وتبدأ هذه المرحلة بعد وفاة أبيه المعتضد سنة إحدى وستين وأربعمائة (461هـ)[2]، حيث ولى أمر اشبيلية بعد أبيه وله سبع وثلاثون سنة[3].

وفي وفاة المعتضد عباد وقيام ابنه المعتمد محمد يقول أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري الكفيف: [4]

مـات عَباد ولَكن	**بقـي الْفَرعُ الْكَريـمُ**
فكأن الْميتَ حـيٌّ	**غَيـر أَن الضّـادَ ميـمُ**

وكان المعتمد هذا يشبه بهارون الواثق بالله من ملوك بني العباس[5].

فالمعتمد لا يخلو من الطموح، والحرص على توسيع أملاكه وبسط نفوذ أسرته، وكانت الأسرة العبادية منذ نشأتها تطمع في بسط سلطانها على الأندلس الإسلامية

---

(1) المقري، نفح الطيب، ، ص211.

(2) ينظر: المصدر نفسه ، ص52.

(3) المرّاكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص77.

(4) ابن الآبار، الحلة السيراء، ص54.

(5) عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص76، 77.

جميعها[1] وكان موفقا في حروبه، فتمكن من القضاء على بعض إمارات الطوائف الصغيرة في جنوب الأندلس، وضم أراضيها إلى اشبيلية فاتسعت رقعتها وأوحت إليه فتوحه بعض شعره، ومن ذلك ما قاله بعد أن حاز رندة وحصنها: [2]

لَقَـدْ حَصُنَت يا رندة	**فَصِرْتِ لِمُلْكِنَا عُقْدَة**
أَفَادَ ثنـاك أَرمـاح	**وَأَسْيافٌ لَهَا حِدَّه**
وَأَجْنـادٌ أَشِّلءٌ	**بِهِمْ تَنْتهي الشِّدَّة**

واستولى على دار الخلافة بقرطبة من يد ابن جهور، وفرق أبناءه على قواعد الملك، وولّى ابن عبّاد على قرطبة ابنه سراج الدولة، وقتله ابن عكاشة سنة سبع وستين[3] ولم يستطع المعتمد الثأر لابنه والانتقام من ابن عكاشة واسترداد قرطبة إلا بعد ثلاثة أعوام، و تلا فتح قرطبة الاستيلاء على الأراضي التابعة لمملكة طليطلة بين نهر الوادي الكبير ونهر وادي آنه، ولا نزاع في أن الظفر بقرطبة كان انتصارا عظيما للمعتمد[4].

حيث قال يفتخر (من البحر البسيط): [5]

---

[1] علي أدهم، المعتمد بن عباد، ص137.

[2] انخل جنثالت بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص87، 88.

[3] ينظر: أبي العباس أحمد القلقشند، صبح الأعشي، لمطبعة الأميرية، القاهرة، د.ط، 1915م، 1333هـ، ج5، اص249، 250.

[4] ينظر: علي أدهم، المعتمد بن عباد، ص137.

[5] المعتمد بن عباد، الديوان، تحقيق: رضا الحبيب السويسي، الدار التونسية للنشر،د.ط، 1975م ، ص105.

مَنْ لِمُلوكِ بِشَأْوِ الأَصْيَدِ البَطَلِ هَيْهَاتَ! جاءتكُم مهديةُ الدُّولِ

خَطَبْتُ قُرطبةَ الحسناءَ إذْ مَنَعتْ مَنْ جَاءَ يَخْطُبُهَا بِالبيضِ والأَسَلِ

كانت هذه حياة المعتمد أيام كان ملكا، و الآن ننتقل إلى مرحلة أسره و اعتقاله.

ج. مرحلة الأسر:

أقام المعتمد في أغمات أسير قد ضيّق عليه، كاسف البال، كسير القلب يسام سوء المعاملة، ويتجرع مر الهوان، وتزدحم على خواطره الهموم، وتطوف به ذكريات ملكه السابق ومجده السالف، ولكنه مع ذلك كان يتجلد ويتماسك ويتذرع بالصبر، وكان يؤلمه و يشقيه منظر بناته الناشئات في ظلال النعيم وهن في الأطمار يعزلن ليحصلن على القوت، وقد بدت عليهن أثار الفاقة وما أصابهن من بؤس وشقاء حيث أنشد(من البحر البسيط): [1]

فِيمَا مَضَى كُنْتُ بِالأَعْيَادِ مَسْرُورًا فساءك العيد في أغمات ماسورا

تَرَى بَنَاتِكَ فِي الأَطْمَارِ جائعة يَغْزِلْنَ لِلنَّاسِ ما يَمْلِكْنَ قطميرا

ويقول غرسية غومس: «وكان ألم المعتمد على الحقيقة ألما نفسيا روحيا، مبعثه التباين بين حياته الماضيّة وحياته في المنفى، وأساسه الاختلاف الواضح بين الحضارة

---

[1] علي أدهم، المعتمد بن عباد، ص292.

التي كان يعيش في ظلها والبربرّية التي وجد نفسه بين أنيابها في منفاه، ذلك الاختلاف البعيد بين قصور اشبيلية وبين أكواخ المغرب وما فيها من مرارة»[1].

و لعل هذا ما كان له الأثر الواضح على شعر المعتمد يقول (من البحرالبسيط):[2]

بَكى (الُمبَارَكُ) فِي أَثَرِ ابْنِ عَبَّاد بَكى عَلى أَثَرِ غُزلاَنٍ وَأَسادِ

بَكَتْ ثُرايَّاه لاَ غُمَّتْ كَواكِبُها بِمثلِ نوءالثُّريَّا الرّائح الغَادي

بَكَى الوَحِيد، بَكَى الزَّاهِي وقُبَّتهُ والنَّهر، و التَّاجُ كُل ذُلّه بَادي

وفي السجن قال أجمل قصائده الشعرية المسماة بالأسريات التي عبرت عن تجربة حقيقية لحياة الذل التي عاشها هذا الملك في سجنه بعد حياة العز والمجد، وبنجده يتوقف كثيرا في محطّاته الشعرية الأسرية هذه مع أحواله قبل السجن حين كان ملكا[3]، وفي هذا يقول (من البحر البسيط): [4]

غَريبُ بِأَرضِ المغربينِ أَسيرُ سَيَبكي عليه مِنبَرٌ وَسريرٌ

وَتندُبُهُ البيضُ الصّوارِمُ وَالقَنا وَينهلُّ دمعٌ بينَهُنَّ غَزيرُ

إِذا قيلَ في أَغماتَ قد ماتَ جوده فَما يُرتَجى لِلجودِ بعدُ نُشُورُ

---

[1] انخل جنثالت، بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص102.

[2] المصدر نفسه، ص102.

[3] محمد السعودي، خالد خليفات، أسريات المعتمد بن عباد "دراسية نقدية"، ص200.

[4] نضال سالم النوافعة، الأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه، إشراف سمير الدروبي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة مؤتة، 2008م، ص54.

كانت هذه هي المراحل التي مر بها شاعرنا أثناء إمارته ثم ملكه وبعدها مرحلة الأسر.

3. وفاته :

كان للأسر والسجن ومعاناة الأغلال والكبول وما انتاب نفسه من الألم والمعاناة، وتعاورها من الهم أثر قوي في إنهاك صحة المعتمد و هدم بنيانه الوثيق، ويظهر أن المرض اشتد به في السنتين الأخيرتين من حياته، وقد شاركته في آلامه امرأته المحبوبة الرميكية[1] وقد شاء القدر أن تتوفى اعتماد زوجته قبله مما زاد هما وغما فكان هذا الحدث بمثابة ضربة موجعة له.

وبالفعل فلم يمر إلا وقت قصير حتى وافته المنية هو الآخر[2]، وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين (488هـ) [3]، وكان في الخامسة والخمسين من العمر فدفن بجانب زوجته فالقبران موجودان بأغمات إلى يومناهذا[4].

4. آثاره:

إحتل الشاعر المعتمد بن عباد في الأدب الأندلسي مكانة أعظم و أهم من مكان أبيه، و هو من شعراء العربية الذين أجمع الناس على الإعجاب بهم في العالم الإسلامي

---

(1) على أدهم، المعتمد بن عباد، المؤسسة المصرية للنشر، د.ط، ص237.

(2) حمد حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص47.

(3) ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص55.

(4) حمد حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص47.

كله، و قال غرسية غومس عن شاعريته: «إذا كان لابد من تصوير المحنة العامة التي شملت الشعر خلال ذلك العصر في صورة شخص واحد من أهله فليس أوفق لذلك من المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية».[1]

و قد جمع أشعاره في ديوانين، الأول جمعه و حققه الأستاذان أحمد أحمد بدوي، و حامد عبد المجيد بالقاهرة سنة 1951م، أما الثاني فقام بجمعه و تحقيقه الدكتور رضا الحبيب السويسي سنة 1975م بتونس، و هو الذي إعتمدناه في بحثنا، حيث قام بجمعه على أسس سليمة، و التحقيق له طبقا لمبادئ قويمة، فإن كان ترتيب القطع و القصائد حسب الأبواب العامة دون نقص و ترو في الطبعة السابقة، فقد بات من الضروري أن يتبع ترتيب يتماشى و الأغراض الشعرية، كما نجده يتبع تسلسلا تاريخيا في الحين نفسه كلما أمكن ذلك ثم بالرجوع إلى أكبر مراحل حياة الشاعر على الأقل.

و قسم حياة شاعرنا إلى مرحلتين هامتين هما حياته قبل الأسر و بعده، و تجزأ المرحلة الأولى إلى جزءين، حياة "الأمير فالملك" حيث رتب الأغراض و الموضوعات الشعرية فتناول في المرحلة الأولى : الغزل، الخمريات، الوصف، شعر المناسبات (إعتذارات إلى أبيه)، ثم شعره الشخصي الذي يضم [الفخر، الرثاء، الإجازات و المطارحات و المطيرات، الرسائل]. أما المرحلة الثانية و هي مرحلة الأسر فقد تناول فيها شعر المعتمد من فترة خلعه إلى آخر قصيدة نظمها، و أوصى بأن تكتب على قبره.

[1] جونثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص89.

الفصل الأول

موضوعات السجن في شعر المعتمد بن عباد

أولا: التعريف بشعر السجن عندالمعتمد بن عباد.

ثانيا: موضوعات شعر السجن عند المعتمد بن عباد.

1. الشكوى
2. وصف السجن و السجان
3. وصف القيد
4. الحنين و الشوق
5. آلام الغربة

ثالثا: موقف الشاعر من تجربة السجن.

أولا: التعريف بشعر السجن عند المعتمد بن عباد:

يعد شعر السجن شديد الصلة بشعر الهجاء السياسي، فهو نتيجة له في معظم الأحيان[1].و شعر السجن عند المعتمد بن عباد هو كل ما نظمه من أشعار أثناء محنته، و قد نظمه في مراحل مختلفة من المحنة، و كانت بداية المحنة، مقتل ابنه المأمون قتله جيش ابن تاشفين بقرطبة عام " 484 هـ" و الراضي قتله جيش ابن تاشفتين برندة سنة 484هـ[2].

أما المعتمد فقد اقتاده المرابطون الى سجن أغمات بالقرب من مراكش سنة 484هـ [3] و تم خلعه في السنة نفسها.

و قد تناول المعتمد بن عباد في أسره مجموعة من الموضوعات دارت كلها في مجال الشكوي، و التحسر على ملكه و أولاده. و هو ما سنتطرق إليه في هذا العنصر.

السِّجْنُ هو الحَبْسُ و السَّجن بالفتح: المصدر سَجَنَهُ يَسْجُنُهُ سَجْنًا أي حَبَسَهُ: أبي الفضل جمال الدين محّمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، لسان العرب،، دار صادر، بيروت، ط1، مجلد 4، 1480هـ، 1990 م، ص19.

أما لفظة حبس فهي من حبس حبسه، يحبسه حبسًا فهو محبوس و حبيس: ابن منظور، لسان العرب، مادة حبس، المجلد4 ، ص 203. ، أما لفظة الأسر فيقال: أسرت الرجل أسرًا و إسارًا فهو أسير و مأسور و الجمع أسري و أساري و نقول استأسر أي كن أسيرا لي :ابن منظور، المصدر نفسه، مادة أسر، المجلد 4، ص 19.

[1] فورار امحمد بن لخضر، الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية، دار الهدى، عين مليلة،(د.ط)، (د.ت)، ص 134.

[2] ينظر: المعتمد ين بن عباد، الديوان، ص 162.

[3] قراءات في الشعر الأندلسي، صلاح جرار، دار المسيرة، ط1، 1427هـ ،2007م، ص139.

ثانيا: موضوعات شعر السجن عند المعتمد بن عباد:

فالملاحظ أن، من أهم الموضوعات التي غلبت على شعر السجون في الأندلس وصف الحياة اليومية فيها و تصوير ما اكتنفها من احاسيس و عواطف و مناجاة، و هواجس، و أفكار يفيض بها خاطر الشاعر. لقد تمثلت الحياة في السجن في صورة حالة موت بطيء، متجدد بتجدد وحشة الأيام، و بفعل المعاناة المستمرة، انصهرت ذات الشاعر المنكسرة في مشاعر الحيرة و القلق، و هذا ما عاشه الشاعر الملك "المعتمد بن عباد" أثناء أسره في أغمات، لقد عاش في زاوية مظلمة حاول اختراق حدودها بممارسة الكتابة الشعرية عبر الخيال و الحلم الياقظ، واستطاع من خلالهما الانعتاق من السجن و أبعاده المؤلمة.

إنطلاقا من هذا، تنوعت بذلك |الأغراض الشعرية التي تطرق إليها ففجر فيها عواطفه بقوة، إذ نجد في شعره وصف للسجن، و السجان، و وصف للقيد، و آلام الغربة و حرقة الأنين، و الحنين و الشوق لأيام عزه و ملكه.

إن معاناة المعتمد بن عباد جعلته ينزل من قمة المجد الى حضيض الأسر، فكانت شكواه و غربته متميزة، و كان تعبيره متميزا أيضا، و متنوع الأشكال، لكنه دوما يتمحور حول مضمون واحد، هو المقارنة بين الماضي العزيز و الحاضر الذليل[1]. و إن كانت

[1] ينظر: فاطمة طحطح، العزبة و الحنين في الشعر الأندلسي، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،ط1، 1993، ص189.

هذه الفترة قصيرة من حيث الزمن (484هـ،488هـ). ألا انها كانت طويلة من حيث الإنتاج الشعري نظرا الى «...أنه لم يتح لملك غيره ما أتيح له من رهافة الحس و شاعرية النفس، و لقد كانت أنفة الحوادث العارضة[1] التي تمر في حياته سرعان ما ترتدي الثوب الشعري و يمكن أن تصاغ ترجمة حياته أو على أي حال حايه الفكرية من أشعاره» و هذا ما قاله دوزي (Dozy) في كلامه عن المعتمد من خلال كتابه الرائع "اسبانيا الإسلامية"[2].

1. الشكوى:

حضي شعر الشكوى بمكانة هامة في الشعر السياسي الأندلسي و خاصة في عهد ملوك الطوائف، نتيجة لتردي الأوضاع السياسية واضطرابها الى حد كبير، فكان من الطبيعي أن نجد هذا النوع من الشعر خاصة على لسان ملكها الشاعر المعتمد بن عباد[3] و من ذلك شكواه من الدهر حيث صوره بأنه غادر و مخادع، لا يحفظ للكرام جميلا، شيمته الغدر بالأوفياء، لذا فهو مصدر متاعب للصالحين، يتمادى في الإساءة إليهم يقول (من البحر الطويل):**[4]**

---

[1] علي أدهم، المعتمد بن عباد، ص339.

[2] المرجع نفسه، ص339.

[3] ينظر: محمد شهاب العاني، الشعر السياسي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، دار دجلة، ط1،1429هـ، 2008م،ص92،97.

[4] المعتمد بن عباد، الديوان، ص158.

أَبى الدهُر أن يقني الحياَءو يندما ... و أَأن يمحُوَ الذنبَ الذي كَانَ قدّما

و أنْ يَتَـلَقّى وَجْـهَ عَتبي وَجْهُـهُ ... بِعُـْر يـ ُغْشى صَفْحَتَ ْيـهِ التـ ّذُمما

ستعلم بـ ُعدي من تكـ ُونُ سُيـ ُوفُـه ... إلى كُلِّ صعبٍ مِنَ مراقِيكَ سُلَّما

سَتـ ْرِجِعُ ُ إن حاولـت ُونِـي فَتـ ْكَـةً ... بأخْجَلِ مـنَ الُمَبارز أَحْجَمـ َ ـا

و يلقي الشاعر المعتمد بن عباد بشكواه على عتبة الزمن، بعد أن بادرته الأحزان من كل جانب فيقول بعد أن خُلع و أسر (من بحر الرمل): [1]

[1] المعتمد بن عباد، الديوان، ص155.

قُبِّح الدّهر فماذا صَنَعـَ ـا؟ كلما أعطى نَفيسا نَزَعا

قد هَوى ظُـلّما بمَنْ عاداتـُـه أن يـُنادي كل مَن يَهْوى«لَعا»

من إذا قيل الخَنَاصَمَّ،و إن نطق العافُونَ هَمْسا،سَمِعا

منْ إذا الغَيثُ هَمى مُنْهمِرا أخجلَتـْـه كفه فانقَطعا

ويبدو جليا أن الشكوى المنبعثة من السجن، اتسمت بحرقة و مرارة عمقها الشعور بوطأة الزمن، حيث يرى المعتمد الدهر مصرا على إيقاع الأذى به، و يعمل جاهدا على دوام محنته و القضاء على كل أمل يراوده بالفرج القريب إذ يقول (من بحر الطويل): [(1)]

تـُؤَمِّل لـِلنَّفْس الشَجِيَّـة فُرْحـةً وتـَأبى الخطوبُ السودُ إلا تـَمادِيا

ليالـِيك في زاهِيك أصْفَى صَحْبَتـَها نَعِيم كَما صَحِبَ تـَتَبْلِقَي المـُلوكُ اللّيَـالـِيـا

و بـُـؤْسُ ذا لـِذَلـِكَ نَاسِخُ وبعدَهُما نسخُ المَنَايا الأَمانِيا

يظهر مما تقدم، غلبة الشكوى على كل القصائد و المقطوعات التي قالها المعتمد في أسره، فقد شكي السجن و السجان، كما شكي آلام القيد و شدة إيذائه له، كما نجده يشكو آلام الغربة و يحن إلى وطنه و عز ملكه، و هذا ما سنتطرق إليه في العنصر الموالي.

---

(1) المعتمد بن عباد، الديوان، ص184.

2. وصف السجن و السجان:

يعد وصف الحبس غرضا من أغراض شعر السجن فهو بمثابة شعر البيئة في قصائد العرب – يرد بين الأغراض المشهورة - [1].

و عن حياة السجن التي عاشها المعتمد يقول مخاطبا الغربان (من البحر البسيط): [2]

غربانُ"أغمات" لا تعد من طيبةً من الليالي و أفنانا من الشَّجرِ!

تظِل زغبَ فراخٍ تستكنُّ بها من الحرور و تكفيها أذى المطرِ

و هنا الشاعر يدعو للغربان خيرا، و يتمنى لها ليالي طيبة، و أفنانًا من الشجر تلجا إليها الفراخُ، لتحتمي من الحر و من البرد، و يعلل المعتمد تعاطفه هذا مع الغربان، بقوله(من البحر البسيط): [3]

كما نَدُنَ بالفألِ يُعجبني مُخبِراتٍ به عنْ أطْيب الخبرِ

أنَّ للنجومَ التي غَابتْ قد اقتربتْ مِنَّا مطالِعُها تسْري إلى القمرِ

ثم يمضي المعتمد، معطيا للغربان وعوده، فيقول (من البحر البسيط): [4]

علّي إنْ صَدَقَ الرَّحمان ما زعْمت ألا يُروِعْنَ من قوسي و لا وتري !

و الله و الله لانْفَرتُ واقِعَها ولا تَطَيَّرتْ الغِربانُ بِالعوَرِ

---

[1] أحمد مختار البرزة، الأسر و السجن في شعر العرب، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط1، 1405هـ، 1985م، ص508.

[2] المعتمد بن عباد، الديوان، ص189.،

[3] المصدر نفسه، ص189.

[4] المصدر نفسه، ص189.

فالشاعر هنا قد صار على خلاف الناس، يتفاءل بالغربان، كلما سمع نعيبها. و ورد أثر ذلك النبأ بقدوم بعض نسائه عليه[1] .

و قد وصف الشاعر الحشرات السامة المروعة التي دعا غليها المعنمد بن عباد بالهلاك في سجن أغمات يقول (من بحر البسيط):[2]

و يا عقاربها لا تعدمي أبـدًا	**شجًا و عَقرًا و لا نوعًا من الضـررِ**
كما ملأتن قلبي مذ حللت بها	**مخافةً أسلمتُ عيني الى السَّهرِ**

و الشاعر في السجن يحي حالة ترقب ممزوجة بخوف واضطراب في ديمومة كلما سمع صلصلة القفل، متوقعا أن الموت قد جاءه.

يقول المعتمد بن عباد عن هذه الحالة (من بحر الطويل): [3]

[1] علي أدهم، المعتمد بن عباد، ص300.

[2] أحمد مختار البرزة،، الأسر و السجن في شعر العرب، ص508.

[3] المعتمد بن عباد، الديوان، ص 187،188.

بكيْتُ الى سرب القطا إذْ مَرَرْنَ بي	**سوارِحَ لا سِجْنٌ يعوقُ و لا كَبْلُ**
و لَمْ تَكُ و الله المُعيدُ حسادَة	**و لكن حنينا: إن شكلي لها شكْلُ**
فأسْرَحْ فلا شملي صديعٌ و لا الحشا	**و جميع و لا عيْناي يُبْكيهما ثكلُ**
و ما ذاك مما يعتريه و إنما	**وصفت الذي في حيلة الخلق من قبلُ**
هنيئا لها أنْ لم يفرق جميعُها	**و لا ذاقَ منها البعدَ عن أهلَها أهلُ**
و أن لم تبتْ مثلي تطيرُ قلوبُها	**إذا اهتزَّ بابُ السجنِ أو صلصل القفلُ**
لنفسي إلى لقَيا الحمامِ تشوفُ	**سواي يحب العيشَ في ساقهِ كَبلُ**
ألا عصَمَ الله القطا في فراخِها	**فإن فراخِي خَانها الماءُ و الظلُّ**

لقد ازداد الشعور بالقلق و الخوف في نفس المعتمد بن عباد حين إجتاز يوما عليه بموضع اعتقاله – سرب القطا فأحس بنعيم الأمن و السكينة اللتين تنعم بها مع أفراخها لا شيء يفتت قلوبها جزعًا و خوفًا.

و تبدو هذه المقطوعة في أسلوبها مباشرة عمد فيها التصريح بأفكاره و معاناته حيث شبه الشاعر نفسه المتأسية في صورة سرب القطا، واصفا من خلالها مدى شعوره بالوحدة و العزلة، يائسا من وصول الفرج إليه لينعم يالسعادة و الإستقرار، كما تنعم هي مع فراخها حيث لا تشقى و لا تحزن، و قد استولت عليه فكرة الموت الطارق باب سجنه

في أي لحظة يدخل فيها غليه حارس السجن، و لقد تعمق لديه هذا الشعور بالإنتهاء القريب برؤية سرب القطا متنعما بالحياة.

و لعلنا نستشف هذا الإحساس بقوة في تكرار حرف النفي في قوله: لا سجن، و لا كبل، لم تك... و لا الحشا، و لا عينان، و لم يفترق، و لا ذاق، و لم تبت...و هذا التكرار دال على تأكيد معاني الفشل و الوحشة و الهزيمة.

3. وصف القيد (الكبل):

يعد القيد مصدر شكوى لا ينقطع آناء الليل و النهار، كما كان مصدر إزعاج دائم دائم يوحي بالصور المفزعة، و من هذه الصور الكثيرة الخطورة صورة الأفعى و صورة الأسد قال المعتمد (من البحر الطويل):

تعَطَف في ساقي تعَطُفَ أرقِمِ يساورها عضا بأنيابِ ضيغمِ

و هاته القيود و ما تسببه من ايلام فهي تؤذي بأصواتها إذا تحركت و لمسها الذي يأكل من الجسد، و هذا ما صرح به المعتمد – و هو رجل جلد – أنه بكى من آلام القيد.

يقول (من البحر الطويل): [1]

تُعيدُ على سمعي الحديدَ نشيدهُ ثقيلا فتبكي العينِ بالحبسِ و النقرِ

[1] ينظر: أحمد مختار البرزة، الأسر و السجن في شعر العرب، ص 517،518.

كما شكي المعتمد من آلام القيد، فكان قيده رفيق سوء لازمه أغلب أيام سجنه، إذ أن القيد شيء تنفر منه النفوس البشرية، فلا أحد يرضى بالقيد ملازما له، فكيف بملك إعتاد تربع الأسرة أن يجد نفسه فجأة تحت وطأة قيد مشؤوم!،لذلك كان المعتمد يتبرم من تلك المفارقة، إذ يقول (من البحر المتقارب): [(1)]

تبدلت من عز ظـل البنود	**بذل الحديـد و ثِقْل القيودِ**
و كان حديدي لسَانـا ذليقًـا	**و غضا رقيقًـا صقيـل الحديدِ**
فقد صار ذاك أدهمًــا	**يَعَضُ بساقـيَّ عَضَّ الأسودِ**

فالقيد هنا ثقيل، للمعتمد الألم و الذل على حد سواء، و قد شبهه المعتمد بالثعبان، و لم تكن هذه المرة هي الوحيدة النتي شبه فيها الشاعر القيد بالثعبان، بل نجده يشبهه به على الدوام، و من ذلك قول الشاعر(من البحر الكامل):[(2)]

عننتك أغماتيـةالألحان	**ثقلت على الأرواح و الأبدان**
قد كان كالثعبان رمحُكَ في الوغى	**فغدا عليك القيـد كالثعبـان**

و مما يلاحظ أن آثار القيد في شعر المعتمد لم تقف عند المعاناة الجسدية فحسب، بل امتدت لتسبب الآلام النفسية كذلك فقد دخل على المعتمد أهله، و منهم ولده أبو هاشم و كان أصغر أولاده، و أحبهم أليه، و أحظاهم على صغره أو لصغره لديه، و هو الذي

(1) المعتمد بن عباد، الديوان، ص 170.

(2) المصدر نفسه، ص 183.

تذكره يوم الزلاقة و الحرب متسعرة الأوار، و المعركة دائرة الأرحاء، فرأى القيود قد التوت على ساقيه، و هو لا يطيق أعمال قدم، و عهده به متربعا على سرير الملك، أو متسنما منبر الخطابة، أو ممتطيا صهوة جواده تحقق عليه الألوية، و تحف به الأبطال و غلب الرجال فلم يستطع أن يخفي تأثره و يملك سوابق عبرته[1]، و في ذلك يقول المعتمد (من البحر السريع): [2]

قيدي! أما تعلمنـ ي مُسْلما؟ أَبْيتَ أن تشفق أو ترْحَما

دَمى شراب لك و اللحم قد أكلته ُ، لا تـُهشِم الأعْظُما!

يبصرني فِيَ أبٌ .و هَاشِم فَيَنْثَنِي والقلب قَدْ هُشِما!

فالمعتمد هنا، يخاطب قيده، حيث يناشده بأخوة الدين و الإسلام بينما أمير المؤمنين لا يأبه بذلك، ثم يستدرك المعتمد مناشدا قيده برحمة الطفل الصغير، أو الأخوات الضعيفات، على الأقل، فيقول (من البحر السريع): [3]

ارْحَمْ طُفَيْلًا طائشا لـُبه لم يخش أن يأتيك مُستْرْحِمًا

وارْحم أُخيات له مِثلَه جَرَعْتـُهنَّ السُم و العَلْقَما!

مِنْهنَّ من يَفْهم شَيئًا فقدْ خِفْنا عليه للبكاء العَمى

و الغيرُ لَا يفهُم شيئا فَما يَفْتـَحُ إلا للرضاع فَما

---

[1] علي أدهم، المعتمد بن عباد، ص303.

[2] المرجع نفسه، ص 181.

[3] المرجع نفسه، ص 181.

و كانت حكاية المعتمد الأسير مع هذا الكبل، حكاية ذات حلقات متتالية، لازمته في أسره، فقد شغل هذا الموضوع حيزا لا يستهان به في شعر المعتمد خاصة في شعر السُّجناء و الأسرى عامة، لما للقيد من تأثير كبير في زيادة عذاب الأسير جسديا و نفسيا.

4. الحنين و الشوق:

يمكننا القول أن أقسى شعور يعيشه السجين، بعد الشعور بآلام التعذيب هو الشعور بآلام الفراق و البعد، و هذا النوع من الشعور لا يخلو غالبا من الميل إلى الحزن، و التأمل، كما لا يخلو من نسائم الأمل بالعودة، أو تسجيل خطرات النفس في هواجسها، و دمعات المقل في انسابها، و زفرات الشوق في تصعيدها.[1]

لقد كان السجن الجرح الذي لا يندمل و القدر الذي لا يدفع،فقد غدت النجاة حلما بعيد المنال بالنسبة للشاعر، و هذا المعتمد بن عبادفمن شدة وطأة الشوق و الحنين على نفسه و تعلقه بمن يحبهم، جعله يعيش معهم باستمرار عن طريق التذكر و جعله يراهم في كل شيء أمامه، فحتى سرب القطا الذي مر عليه في موضع اعتقاله ذكره بأهله، إذ قال (من البحر الطويل):[2]

---

[1] ينظر: محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1،2000، ص131.

[2] المعتمد بن عباد، الديوان، ص187.

بكَيتُ الى سرب القطا إذ مَرْرنَ بي سوارحَ لا سجْنُ يُعوقُ وَ لا كَبلُ

هنيئًا لها أن لم يـُفرقْ جميعُها وَ لا ذاقَ منْها البـُعْدَ عن اهْلها أهْلُ

و أنْ لم تبِتْ -مِثلِي- تطيرُ قلوبُهـا إذا اهتز بابُ السجن أو صلصل القُفْلُ

و الشاعر الأب لا يعيش فقط مشاعر الشوق الى أولاده بل يعيش آلاما نتيجة الفراق، كما أنه لا يعيش آلامه فقط بل يعيش آلاما مضاعفة، آلام الشعور بفراق أولاده من جهة و ألم رؤيتهم يشقون في حياتهم بعده من جهة ثانية، و هي حالة نفسية حادة عاشها الشاعر المعتمد بن عباد إذ كان لقائه ببناته في السجن، أشد و أعمق ألما من ألم الفراق و هو يراهن داخلات عليه في حالة مزرية يوم العيد،إنها حقا معاناة مضاعفة بالشوق اليهن من جهة و الأسى على حالهن من جهة أخرى يقول.

(من البحر البسيط):[1]

فيما مضى كنت بالأعياد مسروْرَ فجاءك العيد في أغمات مأسُورا

ترى بناتِكَ في الأطمارِ جائعةً يغزلنَ للناس ما يملكن قِطميرا

برزنَ نحوك للتسليم خاشعـةً أبصارهنَّ، حسيراتٍ مكاسيـرا

يطأن في الطين و الأقدامُ حافيـةُ كأنـها لم تطأ مِسْكًا و كَافُورا

أفطرتَ في العيد لا عادتْ إساءتـه و كان فطرك للأكباد تفطيـرا

[1] محمد رضوان الذية، في الأدب الأندلسي، ص152،153.

فالقارئ للأبيات يدرك مدى عمق الألم و المعاناة التي عاشها الشاعر في تلك اللحظة و مدى أثرها في نفسه، ليتضح لنا أن المعتمد بن عباد لم يقف عند تصوير ماساته فقط، بل يتعدى إلى إظهار مأساة بناته ايضا.

و عندما تستأثر عاطفة الأبوة نحو الأولاد بوجدان المعتمد يصبح حديثه غاية في عمق العاطفة و قوة الشعور بالحنين فقلبه عند أولاده، - فهو يتابع أخبارهم يوما بعد يوم – و ها هو يتلقى خبر وفاة ابنيه – المأمون و الراضي – و هو عاجز مقيد في أسره، لا يملك إلا البكاء عليهما إذ قال (من البحر الطويل):[1]

**بكتْ أن رأتْ إلْفينْ ضَمهُما وَكـ ـُر		مساءً و قد أخْنى على إلفها الدهْرُ**

**بكتْ و لم ترِقْ دَمْعًا و أسْبلتْ عَبْرة		يُقَصِّرُ عنها القطْرُ مهْما هَمَا القطْرُ**

و لعلنا ها هنا، نقول أن أبيات الشاعر المعتمد في تفجعه على أولاده كانت أكثر ألاما و أشد حرقة من تفجعه على نفسه.

[1] المعتمد بن عباد، الديوان، ص 164.

5. آلام الغربة:

إن هذا اللون الفني من الشعر، قد تناثر في أقوال كثير من الشعراء الأندلسيين[1]. فالمعتمد بن عباد كان على رأس ملوك الطوائف الذين استهدفهم الخلع و النفي، فخلف أسره من طرف المرابطين و سجنه "بأغمات"، عددا هاما من قصائد الغربة و الحنين تعد من روائع شعره، بكى فيها مجده و حن إلى قصوره في إشبيلية و رثى نفسه حيا[2].

حيث نظم الشاعر المعتمد بن عباد في أسره بـ"أغمات" شعرا يحن الى مملكته إشبيلية ذاكرة قصوره التي شيدها وأفتتن في تزيينها و عرف في أرجاءها الأمن و السعادة و الإستقرار، كما كان القصر الزاهي من أجمل المواضع لديه و أبهاها و أحنها إليه و أشهاهالإطلاله على النهر و لإشرافه على القصر فقال (من البحر البسيط): [3]

غريب بأرض المغربين أسيرُ ... سيبكي عليه منبر و سريرُ

و تندبه البيض الصوارم والقنا ... و ينهلُ دمعٌ بينهن غزيرُ

مضي زمنُ و الملك مستأنس به ... و أَصْبَحَ منهُ اليوم و هو نَفُوُرُ

برأي من الدهر المظلل فاسدٍ ... متى صلحتْ للصالحين دهورُ

أذل بني ماء السماء زمانُهُمْ ... و ذُلُ بني ماء السماء كبيرُ

---

[1] سعيد أحمد غراب، أطياف من تاريخ الأدب العربي و نصوصه في الأندلس، دار العلم و الإيمان، (د.ط)، (د.ت)، ص52.

[2] فاطمة طحطح، الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي، ص45.

[3] ينظر: المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص275.

فياليت شعري هل إبيتن ليلـةً أمامي و خلفي روضــةُ و غديُر

بمنبته الزيتون مورثة الُعلا تغنـي حَمامُ أو تـرنُّ طيـوُر

بزاهرَها السامـي الذي جاده الحيا تثير الثريا نحوَنا ونشيـُر

و بين الماضي المجيد و الحاضر الذليل، بين «كان» و «أصبح» يحترق الشاعر شوقا، و يتمزق لوعة و حسرة علر قصوره التي خلفها وراءه، على عزه الغابر و مجده الضائع، فيبكي دون انقطاع... على الزاهي الزاهر، الوحيد المبارك كما بكت عليه، و بكى التاج و النهر، كل ذله بادي[1]. و قد جاء في القلائد: أنه تذكر منازله فشاقته، و تصور بهجتها فراقته، و تخيل استيحاش أوطانه و إجهاش قصره الى قطانه و اظلام جوه من أقماره، و خلوه من حراسه و سماره فقال (من البحر البسيط): [2]

بكى المباركُ في إثر ابن عبَّاد بكى على أثْر غِزْلان و آسَـادٍ

بَكَتْ ثُرَياه لا غُمـتْ كَوَاكِبُ ُهـا بمثل نَوْء الثريا الرائح الغادي

بكَى الوَحيد، بكى الزاهي و قُبةُ و النـهر و التاج، كل ذله َبـادي

مـاء السمـاء على أبنائـ ه ُدُرر يالجة البحر دومي ذات إزبـاد

فالشاعر هنا يبكي عزه الغابر و مجده الذي ضاع و زال ملكه.

---

[1] فاطمة طحطح، الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي، ص 190.

[2] المعتمد بن عباد، الديوان، ص 161.

كانت هذه أهم الموضوعات التي تناولها المعتمد في أسره بـ"أغمات"، و التي تميزت بالشكوى و آلامه التي رافقته و هو مأسورًا.

1. موقف الشاعر من تجربة السجن:

يعتبر السجن من أهم العقوبات التي تختزل بيئة المسجون في مكان ضيق، تختفي فيه معاني الحياة الإنسانية، و من أخطر آثار السجن، أنه يبعد عن المجتمع و في صورة انعزالية ماديا و معنويا، و بالتالي فإننا نجد السجين لا بد له من أن يشعر بقلق واضطراب نفسي شديد و هي وضعية متردية أرغمته ظروف صارمة أن يعيش معزولا عن المجتمع في مكان ضيق محدود، لهذا نجد آثار هاته التجربة لها وقع كبير في نفسيته، حيث يصور لنا الشاعر المعتمد بن عباد معاناته مع الأسر عند شعوره بالوحدة و خيبة الأمل فقال (من البحر البسيط):[1]

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فَجاءك العيد في أغمات مأسـورا

ترى بناتك في الأطمار جائعةً يغزلن للناس لا يْملكن قطميرا

هكذا، عاش المعتمد ما تيقى من عمره في مقارنة مستمرة بين ماضيه و حاضره من جميع الوجوه، و كان بالغ الوجد شجِيًا مؤثرا، فلا غرو أن يكسب نكبته طبيعة الماساة

[1] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين،ص 152.

الحزينة بما نظمه حولها من شعر و أن يرى فيه الذين وفوا له صورة الإنهيار الشامل و أن يستمدوا من الحادثة عبرة كبرى عن تقلب الأيام[1].

لقد انكسرت ذاته واستبيحت قيمها، واستفرغت إنسانيتها، و لم يبق له إلا الذل و الفقر يلفانه بوشاح الأسى و الحزن، و عن شعوره بالوحدة و خيبة الأمل يقول المعتمد بن عباد: [2]

يعيد على سمعي الحديد نشيده ثقيلا فتبكي العين بالجبس و النقرِ

و تتجسد بقوة مرارة الوحدة بكل أبعادها المأساوية، حين تأمل نفسه و هي مقيدة بسلاسل في ذل و هوان، فشعر بنوع من التمزق النفسي كلما تأمل ذاك القيد.

يقول (من البحر السريع): [3]

قيدي! أما تعلمني مسْلًما أُبَيتَ أن تشفق أو ترحَما

دمي شراب لك و اللحم قد أكلتهُ لا تَهُشّم الأعظَما

و الصورة التي مزقت ذات المعتمد مرارة و ذلا، واحترقت وحدته المريرة لكي تصل معاناته إلى ذروتها، هي دخول بناته عليه يوم العيد، و قد حالت حالهن، و كن قد

---

[1] المصدر نفسه، ص 152.

[2] ابي الحسن علي ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجيزة، القسم الثاني، المجلد 1، تحقيق غحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417هـ، 1997م، ص73.

[3] ابي الحسن علي ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجيزة، ص73.

اضطررن الى الغزل لتحصيل قوتهن إذ قال في ذلك (من البحر البسيط) :[1]

ترى بناتِكَ في الأطْمار جائعة يغْزلْن للناس ما يمْلكْن قطْميـار

بَرزْن نحوك للتسْليم خاشِعةً أبصارهنَّ حسيراتٍ مكاسِيرا

يطأن في الطين و الأقْدامُ حافيـةُ كأنـها لم تطأ مِسكا و كافُوراَ

لقد حاول الشاعر السجين الفرار من هاجس الموت الذي كان يطارده، لكنه كثيرا ما كان يجد نفسه في الأخير يستطلع السراب ليحسبه ماء، و عن هذا عبر الشاعر المعتمد بن عباد حين دعي له الوزير أبو العلاء زهير بن عبد الملك بن زهير في رسالته بطول البقاء.

فقال المعتمد في ذلك (من البحر الوافر): [2]

دَعَا لي بالبقاءِ و كَيفَ يـهْوى أَسِير أن يَطُول بِه البقاءُ

الموت أروح من حيـاة يَطُولَ على الشقى بها الشقـاءُ

فَمَنْ يكُ مِنْ هَوَاهُ لقاء حُـب فإنَّ هَوَاي من حَتفي اللقـاءُ

و تفاقم الإحساس بالموت عند المعتمد بن عباد، فلما أحس بالمنية تزهقه، و حبائلها تعلقه، أمر أن يكتب على قبره،

---

[1] ينظر: المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص273.

[2] ينظر: المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص16.

فقال (من بحر البسيط):[1]

قبرِ الغَريب، سقاكَ الرائحُ الغَّادي حقا ظَفَرْتَ بِأشْلاء إبْن عبَّاد!

بالحِلْم بالعِلْم، بالنُعمى إذ إتصلت بالخصب إن جدبوا،بالري للصادي

بالطاعن الضارب الرامي إذ إقتَتلُوا بالمَوْت أحْمَر، بالضرغامة العَادي!

كان هذا هو موقف الشاعر من تجربة السجن التي قلبت حياة المبك رأسا على عقب، و الذي تبدل من عز الملوك إلى ذل القيود.

إذن، بعد دراستنا لموضوعات شعر السجن عند المعتمد، و موقفه من هذه التجربة ننتقل الى الدراسة الفنية لأسرياته.

[1] المعتمد بن عباد، الديوان، ص193.

الفصل الثاني

البناء الفني في شعر السجن عند "المعتمد بن عباد"

أولا: اللغة و الأسلوب.

1. اللغة.
2. الأسلوب.

ثانيا: الصور الشعرية:

1. الصور البيانية.
2. المحسنات البديعية.

ثالثا: الموسيقى الشعرية.

1. الموسيقى الخارجية.
2. الموسيقى الداخلية.

أولا: اللغة و الأسلوب:

1. اللغة:

تعد اللغة عنصرا مهما و ذا اثر كبير في عملية الإبداع الفني، و هي مادة الأدب، و اللغة الشعرية تعتمد على الخلق و الإبداع، و ترتكز على الموروث الشعري من جهة و لغة الحياة المعاصرة من جهة اخرى[1]، أما الألفاظ و العبارات هي اداة لنقل التجارب الشعرية و هي أيضا أحد عناصر الأسلوب الرئيسية[2].

1.1. المعجم الشعري:

إن الدارس لشعر المعتمد بن عباد يتضح له جليا انه خير من مثل حياة الإشبيلي في القرن الخامس الهجري، أحسن تمثيل، إذ يعتبر من شعراء العربية الذين أجمع الناس على الإعجاب بهم في العالم الإسلامي كله، حتى قال غرسيه غومس عن شاعريته:

«إذا كان لا بد من تصوير المحنة العامة التي شملت الشعر خلال ذلك العصر في صورة شخص واحد من أهله، فليس أوفق لذلك من المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية... لأنه كان يمثل الشعر من ثلاثة وجوه: أولها أنه كان ينظم شعرا يثير الإعجاب، و ثانيها

[1] ينظر: آزاد محمد كريم الباجلاني، المجالس الشعرية في الأندلس، دار غيداء، عمان، الأردن، ط1، 2013م، 1434هـ، ص160.

[2] محمد أحمد دقالي، الحنين في الشعر الأندلسي، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2008م، ص435.

أن حياته نفسها كانت شعرا حيا، و ثالثهما أنه كان راعي شعراء الأندلس أجمعين، بل شعراء الغرب الإسلامي كله»[1].

إنطلاقا من هذا، فإن للمعتمد الشاعر قاموس لغوي ينقل افكاره و أحاسيسه و يسجل آلامه و آماله، و كانت الفترة الممتدة من 484هـ-488هـ، أي شعره أثناء أسره، اصدق ما جادت به قريحة أسير "أغمات"، حيث تمثل بحسب قراءتنا للجزء الثاني من شعر الملك الأسير في نموذجين:

- ألفاظ البكاء و الحسرة و الالم.
- ألفاظ الطبيعة.

2.1. ألفاظ البكاء و الحسرة و الألم:

يمثل شعر البكاء و الألم جزء الديوان الثاني بأكمله، ذرف المعتمد الشاعر الدموع فيه خلال أربع سنوات من سنة 484هـ إلى 488هـ اي من القطعة 147 إلى القطعة 187، فامام هذه الارقام نجد شخصية المعتمد الأسير الكسير البال، كأنه لم يعش لحظة سعادة، فيها يسكب الدموع عزارا معبرا عن محنته، أما فيما يتعلق بألفاظ الحسرة و الألم فقد غطت جميع أشعار الأسير في مرحلته الأخيرة، فكل أيامه حسرات و كل لياليه أحزان و آلام، و هاته الحقائق المحزنة و المفردات الباكية سنوضحها في الجدول الآتي:

[1] ينظر، آنخل جونثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص89.

اللفظة	البيت الشاهد		الصفحة
الدمع	**لا نرع للدمع في آماقنا**	**مزجته بدم، أيدي الحرق**	147
القلب	**لما تماسكت الدموع**	**و تنبه القلب الصديع**	150
الدنيا الدنية	**أرى الدنيا الدنيّة لا تُواتي**	**فأجمل في التصرف و الطلاب**	152
قبح الدهر	**قبح الدهر فماذا صنعا**	**كلما أعطى نفيسا نزعا**	155
أسر و فقر	**و أنا اليوم رهن أسر وفقر**	**مستباح الحمى،مهِيضُ الجناح**	157
بكى المبارك	**بكى المبارك في أسر ابن عباد**	**بكى على أثر عزلان و آسادٍ**	161
بكى الوحيد	**بكى الوحيد، بكى الزاهي، و قبته**	**النهر و التاجُ كل ذُلُّه بادي**	161
هوى الكوبان	**هوى الكوكبان:الفتح ثم شقيقه**	**يزيد فهل بعد الكواكب من صبر**	163
أنار برقك	**و نار برقك لا تخبو إثر و قد تها**	**و نار قلبي تبقي الدهر بركانا**	166
ذل	**أذل بني ماء السماء زمانهم**	**وَ ذُلُّ بني ماء السماء كبيرُ**	171
ساءك العيد	**فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا**	**فساءك العيدُ في أغمات مأسورا**	168
ذل الحديد	**بدلتُ من عزّ ظل البنود**	**بذل الحديد و ثِقل القُيُود**	170
الأسير	**غريب بأرض المغربين أسير**	**سيبكي عليه مِنْبَرُ و سَرير**	171
الموت	**أليس الموتُ أرْوَحَ من حياةٍ**	**يطول على الشقي بها الشقاء**	176

الكبل	**لك الحمدُ من بعد السيُوف كُبُول**	**بساقي منها في السجُون حجُول**	179
بكيت	**بَكَيْتُ على سرب القطا إذْ مررن بي**	**سوارح لا سِجْنَ يُعوقُ وَ لا كَبلُ**	187
خطوب الدهر	**أما سمعْتَ بسلطان شبيهك قَدْ**	**بَزَتْهُ سُودُ خُطُوب الدَّهر سُلْطانا**	192
قبر الغريب	**قبْر الغريب سقاك الرائِحُ الغَادي**	**حَقًا ظَفَرْتَ بأشلاء ابن عبَّاد**	193

يظهر من خلال تتبعنا للمعجم الشعري، في ديوان المعتمد الشاعر – بتحقيق رضا الحبيب السويسي – ان كل المفردات و الألفاظ دارت حول البكاء و النحيب على الملك تارة، و على أولاده تارة أخرى، فمأساته الفردية صورة حية و صادقة لماساة الجماعة، فإبن عباد هو الرجل الأمير، و الملك،و إشبيلية، و الطوائف، و الأندلس جميعا.

و عند قول الشاعر: الدمع، القلب، الشمس، القمر، الهلال، إنما ههي دلالة على وجدانيته التي تنم على حياة الرقة و رهافة الحس التي يتسم بها الأمير و الملك و الشاعر.

1.1. ألفاظ الطبيعة:

يعرف « جودت الركابي» شعر الطبيعة بقوله هو: «الشعر الذي يمثل الطبيعة و بعض ما إشتملت في نفسه المرهفة و حبه لها واستغراقُه بمفاتنها و كلما كان شعر الطبيعة معبرا عن هذه المشاركة و هذا الإستغراق و مصورا جمال الطبيعة و فتنتها في شتى مظاهرها كان هذا الشعر مزدهرًا و محققا غرض موضوعه »[1].

و الملاحظ أن، شعراء الأندلس قد تأثروا بما حوته بيئتهم من مظاهر طبيعية ساحرة، و لم يكن ابن عباد الشاعر بمنأى عن التعبير عن هذه الطبيعة الأندلسية بعامة و الإشبيلية بخاصة، فذكرها و هو في عز محنته مأسورا هناك في أغمات، وهذا ما يتبين من خلال الجدول الآتي:

[1] جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة، 1969، ص126.

اللفظة	البيت الشاهد	الصفحة
الشمس	مجدنا الشمس سنـاءً و سـنـا مَنْ يَرُم سَتْرَ بناه لم يُطِق	147
نجومك	أَرمَدَتْ أم بنجومـك الرّمـد؟ فقد عاد ضـدّا كلُّ ما تَعِدُ	148
جِبال	هَـذي جبـ ال ثَرن قَلْبِـي بهـ ا ذُو ثَرنِ	151
النجوم الليل	رأينا السيوفَ ضُحى كالنجُو م و كالليل ذاك الغُبـار المُثَارا	160
النهر	بكى الوحيد، بكى الزاهي و قُبَّتـُ و النـهر و التَّاجُ كل ذُلُّـه بـادي	161
الأرض	فمالي لا أبكي أمِ القلب صَخْرَةٌ و كم صخرة في الأرض يجري بها نَهْرٌ	165
بَحْرُ	بُنـي صغيرٌ، أو خليلٌ مُوافـق يمزقُ ذا قَفْـرٌ و يغـرقُ ذا بَحْرُ	165
سحا ب	بَعَيْن سحاب وَاكِفٍ قَطْر دَمْعها على كُل قبر حـلَّ فيه أخُو القَطْر	162
سرب القطا	بكيت ألى سرب القطا إذ مررنَ بي سوارحَ لاَ سِجْـنٌ يُعوقُ و لا كَبْلُ	187
الطين	يطأن في الطين و الأقدامُ حافيـةٌ كأنـها لم تطأ مسكًا و كافُـورا	169
روضة و غدير	فَياليتَ شعري هل أبيتن ليلـة أمامي و خلفي روضـة و غديرُ	172
طيور	بمنبتة الزيْتُونُ مُورثة العُـلى يُغنـي حمام أو تـرن طيـورُ	172

و بهذا نجد الشاعر الأسير يغترف من معين الطبيعة و الكون صورًا جميلة، حاول بواسطتها التعبير عما في صدره اتجاه مأساته بشكل عام و سجنه و همومه بشكل خاص فقام بتشخيص الموجودات من حوله، و إسقاط الروح، و الحياة على الجمادات لجعلها كائنات تحس و تشعر، لتكون بذلك بمثابة الشريك في المحنة، و القريب من القلب و الروح لبث شكواه قصد التخفيف عن نفسه.

يقول المعتمد (من البحر البسيط):[1]

بكى المباركُ في إثر بن عبَّاد — بَكَى على أثْرِ غزلانٍ و آسادِ

بكت ثُريَّاهُ لاغُمْتْ كواكِبُها — بِمثل نوْءِ الثُريَّا الرَّائح الغادِي

بَكى الوحيدُ، بكى الزاهي و قُبَّتهُ — و النهر والتاجُ، كلُ ذُلُّهُ بادِي

يتضح من خلال هذه الأبيات، أن توظيفه لألفاظ الطبيعة (غزلان، كواكبها، نوء، النهر)، هو ما يؤكد بشدة عن تعلقه بالطبيعة الأندلسية، و بالإشبيلية خاصة.

---

[1] المعتمد بن عباد، الديوان، ص161.

2. الاسلوب:

يعرف الأستاذ أحمد الشايب الأسلوب الأدبي بقوله:«هو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ و تأليفها للتعبير بها عن المعاني. قصد الإيضاح و التأثير أو الضرب من النظم و الطريقة فيه».

و يقول عبد القاهر الجرجاني:«إن الأسلوب هو المذهب من النظم و الطريقة فيه»[1].

أ. اسلوب التعجب والاستفهام:

و قد جاء أسلوب المعتمد الشاعر متنوعا، بين الإستفهام و التعجب، حيث طغت هاته الأساليب على الجزء الثاني من شعر الملك الأسير. و من ذلك قوله في رثاء إبنيه المأمون و الراضي (من البحر الطويل): [2]

يقولون صبرًا لا سبيل إلى الصبر سأبكي و أبكي ما تطاول من عمري!

يَنُوحُنَ على نَجْمَيْن أثْكَلْنَ ذَا وَ ذَا و يا صبُر ما لِلقلب في الصبر مِن عُذْرِ!

مدى الدّهر،فلْيبْك الغَمام مُصابَه بصنْويه يُعْذَر في البكاء مَدى الدَّهر!

و هو أسلوب تعجب جراء الماساة التي وصل إليها عند مقتل أبنائه، حيث قال في

[1] سعد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص224.

[2] المعتمد بن عباد، الديوان، ص162.

وصفه للسجن (من البحر البسيط):[1]

غربانَ أغمات لا تَعْدَمْنَ طَيِّبَةً من الّليالي و أفْنانا من الشَّجرِ!

و يَا عقاربها لَا تَعْمِي أبَدًا شَجًا وَ عَقْرًا، و لا نوعًا مِنَ الضَرَرِ!

و هنا صورة واضحة لتعجب الشاعر من الحالة التي وصل إليها، بعد أن كان يتنعم في عز القصور، ليجد نفسه وراء القضبان.

أما عن أسلوب الإستفهام فإنه ورد بكثرة في أسرياته و من ذلك قوله (من البحر الوافر):[2]

دَعا لي بالبقاء و كيفَ يَهْوَى أسِيرُ أنْ يطولَ به البقاءُ؟

أليس الموتُ أرْوَحَ من حياةٍ يطول على الشقي بها الشقاءُ؟

و قال المعتمد في رثاء إبنيه المأمون و الراضي (من البحر البسيط): [3]

نارٌ و ماءٌ صَمِيمُ القَلْبِ أصْلُهُما متى حوى القلبُ نيرانا و طُوفانا؟

و هو أسلوب إستفهام يدل على حالة العجز التي لحقت به بعد فقدانه لفلذة كبده "المأمون و الراضي".

بعد دراستنا للجزء الثاني من شعر الملك الأسير، نلاحظ غلبة أسلوب التعجب الذي يدل على الوضعية التي آل إليها بعد أن كان ملكا أصبح أسيرا مقيدا.

---

[1] المعتمد بن عباد، الديوان، ص176.

[2] المصدر نفسه، ص189.

[3] المصدر نفسه، ص166.

ب -الموروث الديني و الأدبي:

يمكننا أن نقسم مصادر ثقافة الشاعر المعتمد بن عباد إلى قسمين:

***.مصادر دينية:**

تمثلت مصادر ثقافة الشاعر الدينية في الإقتباس من القرآن الكريم، و هذا ما يظهر في قوله (من البحر الطويل):

تسير إلى أرض بها كنت مضْغَةً و فيها اكتستْ باللّحْم مِنْكَ عظامُ

هو إقتباس من الآية الكريمة: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِين، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً، فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً، فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا، فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَر، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الخَالِقِين"[1] (14)

و قد إستخدم الألفاظ الدينية في قوله من البحر الكامل:

قَلْبِي إِلَى الرَّحْمانِ يَشْكُو بَثَّهُ مَا خَابَ مَنْ يَشْكُو إِلَى الرَّحْمانِ(2)

***.مصادر أدبية:**

و عن مصادر ثقافة الشاعر الأدبية فإن شاعرنا سار على منزال القدامى، و هذا

[1] سورة المؤمنين، الآية،12،14.

(2) المعتمد بن عبا, الديوان ،ص183.

ما يتضح من خلال قصائده و مقطوعاته الشعرية، حيث قال في ابنيه (من البحر الطويل):(1)

بكتْ أن رأتْ إلفْينِ ضَمهُما وَكْر مساءً و قد أخْنى على إلِفها الدهُر

بكتْ لم تُرِقْ دَمعًا و أسبلْتُ عَبْرة يقصَّ رعنها القَطْر مهما هَما القطر

و ناحت و باحتْ واستراحتْ سبرها و ما نطَقتْ حَرْفًا يبوُح به سِرُّ

و هنا يظهر التضمين،في قول عوف بن محلم: (2)

و أرقني بالرّي نوحُ حمامةٍ فنحت و ذو الشجر الغريبُ ينوحُ

على أنها ناحت و لم تُذْرِ عَبرةً و نحتُ و أسرابُ الدموع سفوح

و ناحت و فراخها بحيثُ تَراهُما و من دون أفراخي مهامهُ فيح

و قال المعتمد:(3)

أن لم تَبِتْ لَيلاً تطيرقلُوبُها إذا اهتزَّ بابُ السجنِ أو صلصل القفل

و ما ذاكَ مِمَّا يعتريني و إنَّما وصفت الذي في جبلة الخلق من قبلُ

لنفسي إلى القيا الحمام تشوقُ سواي يحبُّ العيش في ساقِه كبلُ

ألا عَصَمَ اللهُ القطا في فراخها فإنَّ فراخِي خانَها الماء و الظلُّ

---

(1) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق2، م1، ص68.

(2) المصدر نفسه، ص69.

(3) المصدر نفسه، ص71،72.

و هنا تضمين من قول أبي عامر بن شهيد القرطبي:[1]

ِ ما إهتز باب السجنِ إلاَّ تفطَّرتْ قلوبُ لنا الخوف الرَّدي كبُ ودُ

و لست بذي قْيد يرنٌّ و إنَّما علىاللحْ ظِ من سُخْطِ الأمـام قيودُ

كان هذا البناء الفني للغة الشاعر و أسلوبه، و الآن ننتقل إلى الصورة الشعرية.

ثانيا: الصور الشعرية:

تعدُّ : «الصور الشعرية» ركيزة أساسية من ركائز العمل الأدبي، و هي تمثل جوهر الشعر، إذ تتظافر مع المكونات الأخرى لكي تبرز مقدرة الشاعر الفنية، و إيصال فكرته للملتقى، و الشعر لم يتميزعن غيره من الفنون بلغته و نسقه الموسيقي فحسب، بل يتميز بالصورة أيضا. فهذا الجاحظ ينظر الى الشعر على أنه « صناعة و ضرب من النسيج، و جنس من التصوير »[2].

إذن فالصورة الشعرية ما هي إلا تجربة في صيغة لفطية تقدم بطريقة جمالية و فنية بعناصرها و تتمثل هذه العناصر في الصور البيانيةمن تشبيه و كناية و استعارة، و المحسنات البديعية من طباق و جناس و سجع.

---

[1] ابن بسام الشنتريتي، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق2، م1، ص72.

[2] آزاد محمد الباجلاني، المجالس الشعية في الأندلس، ص171.

1. الصور البيانية:

علم البيان هو العلم الذي يقدرنا على التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة ، فالوفاء و الكرم و الشجاعة و الجمال، يمكن التعبير عن كل منها بأكثر من تعبير واحد، و علم البيان هو الذي يجعلنا نشتطيع ذلك[1]. و علم البيان هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، و دلالة اللفظ: إمَّا على ما وضع له، أو على غيره[2].

و مادة البيان في أصل استعمالها عند أصحاب اللغة تدل على الإنكشاف و الوضوح[3] إذن، فعلم البيان هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، و دلالة اللفظ، إما على إتمام ما وضع له، أو على جزئه أو على خارج عنه[4].

فالصور البيانية هي وسيلة فنية تعمل على تنمية الذوق الفني، و الكشف عن مواطن الجمال و إدراك نسب الإبداع في العمل الشعري، و بهذا كان لها دور كبير في التأثير في نفس المتلقي.

و سنحاول في هذه الدراسة أن نكتشف الصور البيانية التي استخدمها المعتمد الشاعر، و كيف كان لها الأثر البالغ في توضيح الصور لدى القارئ و المتلقي و منها:

---

[1] عبدة عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الإصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، 1412هـ،1992م، ص37.

[2] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص215.

[3] بدوي طبانة، البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1377هـ، 1958م، ص10.

[4] الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، دار الفكر العربي، ط1، 1904م، ص235،236.

أ. التشبيه:

يعرف التشبيه بأنه «صفة الشيء بما قاربه و شاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جيهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه[1]».

و التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى[2]، أو هو إلحاق أمر بأمر آخر في صفة أو أكثر بأداة من أدوات الشبيه ملفوظة أو ملحوظة.

و هو عند عبد القاهر الجرجاني: :«أن تثبت لهذا معنى من معاني ذاك أو حكما من أحكامه كإثبات للرجل شجاعة الأسد، و للحجة حكم النور في أنك تفصل بها بين الحق و الباطل، كما يفصل بالنور بين الأشياء »[3].

و الشاعر المعتمد بن عباد، كغيره من الشعراء، نجده استعمل أسلوب التشبيه، و أدخله في شعره ليضفي عليه بلاغة و رونقا و جمالاو تأثيرا في نفس القارئ، فمن هذه الصور ما عبر عنه المعتمد بن عباد لما خلع و ذهب إلى "أغمات" في قوله (من البحر المتقارب): **(4)**

رأينـا السيـوف ضحى كالنجُـو ... م و كاللَّيـ ل ذَاكَ الغُبَار المُثَــارا

(1) أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، ط1، 1422هـ، 2001م، ج1، ص252.

(2) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص217.

(3) عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الإصطلاحية، ص37.

(4) المعتمد بن عباد، الديوان، ص150.

فهنا شبه السيوف بالنجوم في لمعانها، و شبهها بالليل عند الحرب، كما يظهر التشبيه في قول الشاعر (من مجزوع الكامل): (1)

قالـــوا: الخُضُوعُ سِيَاسَـــةٌ فليبدُ منـــك لهـــم خُضُـــوعُ

و هنا شبه الخضوع بالسياسة.

و قال الشاعر (من بحر الرمل): (2)

مجْنُـــا الشمـس سنـاءً و سنًـا مَنْ يـ ـُرم سترستاهـلم يـُطِقِ

حيث شبه المجد بالشمس.

و قال المعتمد يصف قيده (من البحر الكامل): (3)

قد كان كالثعبان رُمحك في الوغى فَغَدا عليـك القَيــدُ كالثعبــــان

و هنا تشبيه حيث شبه الرمح بالثعبان، و شبه القيد بالثعبان.

و من خلال ما تقدم، نلاحظ أن قصائد المعتمد كانت حافلة بأسلوب التشبيه.

أما الصورة الثانية من صور البيان فإنها تتمثل في الكناية،و هي مظهر من مظاهر البلاغة، التي توحي بذكاء الشاعر و فطنته و قدرته على التحكم في أسلوبه، فينطم قصائده بأسلوب جميل تشوبه براعة التصوير و جودة التعبير.

(1) المعتمد بن عباد، الديوان ، ص150.

(2) المصدر نفسه، ص147.

(3) المصدر نفسه، ص183.

ب. الكناية:

يعرف القزويني الكناية بقوله: لفظ: «لفظ: أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ، كقولك: « فلان طويل النجاد» اي: طويل القامة و « فلان نؤوم الضحى » اي: مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات»[1].

و قد إستخدم الشعراء الشعر الكناية، لأنها تشد انتباه السامع، كما تعتبر من الأساليب البيانية التي يتسابق فيها البلغاء، و المعتمد من بين هؤلاء، حيث وردت الكناية في شعره، فاستعملها للتعبير عن أفكاره .

إذ نجده يقول(من بحر الرمل): [2]

سَكَـتَ الدَّهْـرُ زَمانًـــا عَنْهُـــمُ ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَـــقَ

ففي هذا البيت يشكو المعتمد من الدهر، و هو كناية عن قسوة الدهر و ظلمه المتواصل له بعدما تم خلعه من ملكه.

و قوله (من البحر الطويل): [3]

تَعَطَّفَ في ساقــي تعطـفَ أرْقَـــم يُسَاوِرُهَا عَضًّا بأنياب ضَيْغَمِ

و هي كناية عن آلام القيد و شدة إيذائه له.

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص330.

[2] المعتمد بن عباد، الديوان، ص147.

[3] المصدر نفسه، ص182.

و قوله (من البحر البسيط) في أول عيد له بـ "أغمات":[1]

يطأن في الطين و الأَقْدامُ حافيـــةُ   كأنها لم تطأ مِسكا وَ كافُــورَا

و هي كناية عن شدة البؤس و الشقاء التي أصبحت تعيشها بناته، فبعد أن كانت تمشي على المسك و الكافور أصبحت تطأ الطين بأقدامهن الحافيات.

و قال المعتمد عند تذكره لوطنه (من البحر البسيط):[2]

ماءُ السماء على أبنائـــــه دُرَر   يَالُجَّةَ البَحْرِ دُمِي ذاتَ إِزْبـــادِ

كناية عن نسبه اللخمي فهو من -أبناء ماء السماء- هذا النسب الذي ضاع بضياع هذا الملك.

ج. الإستعارة :

يذهب القزويني في تعريفه للإستعارة بقوله:

« و هي ما كانت علاقته شببيه معناه بما وضع له. و قد تقيد بالتحقيقية، لتحقق معناه حِسًّا أو عقلا، أي: التي تتناول أمرا معلوما يمكن أن ينص عليه و يشار إليه إشارة حسية أو عقلية، فيقال: إن اللفظ نـُقِل من مسماه الأصلي، فجعل اسما له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه، أما الحسي فكقولك: رأيت أسدا» و أنت تريد رجلا

(1) المعتمد بن عباد، الديوان ، ص169.

(2) المصدر نفسه، ص161.

شجاعا»[1]. أما عند عبد القاهر الجرجاني فيعرفها بقوله: « إعلم أن اللإستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به حيث ُوضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل و ينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية »[2].

و قد وردت الإستعارات في شعر " المعتمد بن عباد "، حيث وظفها بكثرة في قصائده، فكانت متنوعة منها التصريحية و المكنية.

و من ذلك قوله (من البحر البسيط): [3]

كَفَاكَ فَاْرفُقْ بما اسْتُودعتت من كَـرَم ... رَوَاك كل قُطوب البرق رَعَّاد

حيث شبه نفسه بالكرم، فصرح بالمشبه به، و هي إستعارة تصريحية.

و قوله (من البحر الطويل): [4]

شهِدْنَا فكبرنا فظلت سُيُوفُنَـــا ... تُصَلي بِهَامات العِدى فتُطِيــلُ

هنا إستعارة تصريحية، حيث شبه الشاعر عمل السيوف، في ضرب الأعداء، بالصلاة، في قوله تُصَلي بهامات العدى، حيث صرح بالمشبه به و هي (الصلاة).

---

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص285.

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ، 1988م، ص22.

[3] المعتمد بن عباد، الديوان، ص194.

[4] المصدر نفسه، ص180.

أما الإستعارة المكنية فتمثلت في قول الشاعر(من بحر مجزوء الكامل): [(1)]

لمَّا تماسَكَتِ الدُّمُوعُ   و تنَبَّه القَلْبُ الصديعُ

و هنا شبه الدموع بالإنسان الذي يتماسك، كما شبه القلب بالإنسان الذي يتنبه، فحذف المشبه به و أبقى بعض لوازمه و هو (التماسك، و التنبه).

و من الأمثلة على ذلك أيضا قوله (من البحر مجزوء الكامل): [(2)]

فالقَلْبُ بَيْنَ ضُلُوعِه   لَمْ تُسْلِمِ القَلْبَ الضُّلُوعُ

و هنا يذهب الشاعر إلى تشبيه الضلوع باللإنسان الذي يسلم أو لا يسلم، فحذف المشبه به و أبقى بعض لوازمه في قوله: (تُسْلِم).

و يقول الشاعر (من البحر البسيط): [(3)]

يَبْكي أَخَاهُ الذي غَيَّبْتَ وَابِلَهُ   تَحْتَ الصفيح بِدَمْعٍ رَائح غادي

حيث شبه الشاعر الكرم[(4)]، بالإنسان الذي يبكي، فحذف المشبه به و ترك لازمة من لوازمه هي (البكاء) و هذا على سبيل الإستعارة المكنية.

فقد زادت هاته الإستعارات جمالا و رونقا على أسلوب الشاعر، فمن خلال دراستنا للأساليب البايانية في شعر المعتمد بن عباد نجدها قد تركت بصمة ساحرة و روعة في

---

(1) المعتمد بن عباد، الديوان، ص150.

(2) المصدر نفسه ، ص150

(3) المصدر نفسه، ص194.

(4) تم اعتبار الكرم هو المشبه لأن البيت الذي قبله هو: كفَاك فارْفُقْ بما اسْتُودعتَ من كرم رَواكَ كُلُّ قَطُبَ البرْق رَعَّاد. ص194.

التعبير، كما تظهر قدرة الشاعر على نظم قصائده و التعبير عن أفكاره بطريقة فنية و خيال واسع. و إلى جانب الأساليب البيانية التي تعتبر من الصور الشعرية هناك أيضا المحسنات البديعية التي تبين براعة الشاعر وسعة أفكاره و خياله.

1. المحسنات البديعية:

علم البديع في اصطلاح البلاغيين القدماء و المحدثين، هو «العلم الذي يعرف الأديب به وجوه تحسين كلامه بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، و رعاية وضوح الدلالة على ما يريد التعبير عنه»[1].

و علم البديع عند القزويني: هو «علم يُعرِّف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقيه على مُقْتَضَى الحال و وضوح الدلالة. و هذه الوجوه ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى، و ضرب يرجع إلى اللفظ أما المعنوي فمنه المطابقة، و تسمى الطباق، و التضاد أيضا» [2]، و هو من المحسنات المعنوية التي تمس الجانب المعنوي للكلام.

[1] عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الإصطلاحية، ص288.
[2] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة و البيان و البديع، ص348.

أ. الطباق:

و يسمى التضاد أيضا، و هو «الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة»[1].

و قد وظف المعتمد بن عباد الطباق في أشعاره و قصائده بكثرة، مثال ذلك قوله (من البحر البسيط): [2]

أسْرٌ و عسر و لا يُسْرٌ أؤَملُهُ اسْتغفِرُ اللهَ! كَمْ اللهِ مِنْ نظــر!

و الطباق في هذا البيت بين عُسْرٌ ≠ يُسْرٌ.

يقول الشاعر (من البحر البسيط): [3]

فحِينَ شَاءَ الذي أتاه ينْزعُــــــهُ م يُجِدْ شيْئا، فَراعَ السمرِ و القُضُبِ

و الطباق هنا بين أتاهُ ≠ ينزعه.

يقول الشاعر (من البحر الطويل): [4]

نعيمٌ و بُؤْسٌ ذا لِذلــك ناسِــخُ و بعدَهُما نَسخُ المَنَايَا الأَمانِينَا

و الطباق هنا يتمثل في قوله: نَعيُم ≠ بُؤْسٌ.

---

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة و البيان و البديع، ص348.

[2] المعتمد بن عباد، الديوان، ص190.

[3] المصدر نفسه، ص184.

[4] المصدر نفسه، ص184.

و قال الشاعر (من البحر الوافر): [1]

أليس المو تُ أرْوَحَ من حيـــاةٍ   يَطول على الشقي بها الشقَـاءُ

و الطباق هنا بين الموت و الحياة.

كانت هاته بعض النماذج الشعرية التي تضمنت التضاد، حيث يظهر من خلال قصائد و أشعار المعتمد توظيفه لهذا المحسن البديعي، إذ كان له أثرا كبيرا في النفس و ذلك من حيث توكيد المعاني، كما أضفت عليها سحرًا و جمالا و إشراقا، فاستخدام الطباق في البيت الشعري يساهم في إبراز المعنى و يجعله واضحا جليا ليكون له وقع شديد في نفس المتلقي، مثال ذلك قول الشاعر (من بحر الرمل): [2]

قُبِح الدّهر فما ذا صَنَعــــــــا   كلّما أعْطَى نَفِيسا نَزَعـــــا

فالطباق هنا واضح و جلي بين كلمتي (أعطى ≠ نزَعا).

و إذا كان الطباق من المحسنات البديعية التي تندرج ضمن المحسنات المعنوية، أي التي يكون التحسين فيها راجعا إلى المعنى، فإن هناك قسم ثاني من المحسنات البديعية و هي المحسنات اللفظية و التي يكون التحسين فيها من ناحية الألفاظ. هاته الأخيرة التي تعتبر مكملا للمحسنات المعنوية حيث لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى، و الفصل بينهما سيؤدي حتما إلى إختلال و تشويه في التركيب، لأن الشاعر المتمكن هو

---

(1) المعتمد بن عباد، الديوان، ص176.

(2) المصدر نفسه ، ص155.

الذي يحسن مطابقة اللفظ لمقتضى الحال و يسعى غلى الموازنة بين اللفظ و المعنى أي بين المحسنات المعنوية كالطباق، و المحسنات الفظية المتمثلة في السجع و الجناس.

أ. السجع:

يعد السجع من المحسنات اللفظية التي تحدث نغما و جرسا موسيقيا في الآذان، و ذلك لإنتهائه بنفس الحرف.

و السجع كما قال القزويني: «منهج مرتب و طريق مضبوط متى أخل به المتكلم نسب إلى الخروج عن الفصاحة»[1].

و السجع هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، و هذا معنى قول السكاكي: « الإسجاع في النثر كالقوافي في الشعر»[2].

فتبين من خلال مفهوم السجع أنه يبسط جناحيه على النثر و الشعر معا، فالقافية في الشعر تحدث نغما و إيقاعا موسيقيا تميل إليه النفس، و هذا ما نجده في السجع كذلك، و قد ورد السجع بكثرة في أسريات المعتمد و من ذلك قوله (من البحرالوافر): [3]

فأَوَلُها رَجَاُءِ مِن ســـــــــراب و آخِرُهَا رِدَاُءِ مِنَ تـــ ُراب

و في هذا البيت فاصلتين جاءتا بنفس الطول و نفس الوزن و نفس الحروف الأخيرة و هي: (الراء، و الألف و الباء) و هما (سراب و تراب).

---

(1) القزويني الحطيب، التلخيص في وجوه البلاغة، ص401.

(2) المصدر نفسه ، ص402.

(3) المعتمد بن عباد، الديوان، ص152.

و يقول الشاعر في شكواه من الدهر (من بحر الرمل): [1]

قُبِحَ الدّهر فماذا صَنَعـــــــا كُلما أعطى نَفِيسًا نَزَعـــــا

و السجع يتضح بين (صَنَعَا و نَزَعَا) حيث جاءت الفاصلتين هنا بنفس الحرف و نفس الطول، كما انتهت بنفس الفواصل أي بحرفي (العين و الألف).

و قال المعنمد في إرثاء إبنيه المأمون و الراضي (من بحر الطويل):[2]

و ناحتْ فباحتْ واستراحت بِسرّها بما نطقتْ حرفًا يبوُح به سِـرٌّ

جاء السجع في قوله: (ناحتْ و باحتْ)، حيث كانت متوازية و متقاربة في المقاطع.

و عندما حل عليه أول عيد بأغمات قال (من بحر البسيط):[3]

فيما مضَى كنتَ بالأعياد مسْــرورَا فساءَكَ العيدُ في أغمات مأسُورَا

و يظهر الإيقاع الموسيقي بين: مسْورَا و مأسُورَا.

فالملاحظ أن للسجع دور في توازي الألفاظ وانسجامها في اشعار المعتمد، و هذا ما يؤكد عن قدرته على اختيار و انتقاء الألفاظ و موازنتها لتحدث نسيجا لغويا يأسر قلوب المتلقين.

---

[1] المعتمد بن عباد، الديوان، ص155.

[2] المصدر نفسه، ص164.

[3] المصدر نفسه ، ص168.

ج. الجناس:

إذ يعتبر الجناس من المحسنات اللفظية التي تلفت الإنتباه و تجلب السامع بفعل الموسيقى التي يحدثها، و التقارب الصوتي بين الألفاظ.

و الجناس، لغة: هو التجانس و التجنيس و المتجانسة أما إصطلاحا: فهو « أن يكون اللفظ واحدا، و المعنى مختلفا»[1].

أو هو «تشابه كلمتين في النطق واختلافهما في المعنى»[2].

و قد وظف المعتمد الشاعر الجناس في الكثير من أشعاره مثلا قوله (من بحر الكامل):[3]

سألوا ا لَعسير من الأسير وَ إنَّـــه بسُؤَالهم الأحقُّ منهم فأعجب

و هنا جناس ناقص بين: العسير و الأسير.

و قوله (من بحر الكامل): [4]

أبا خالد أورثتنــي البـثَّ خالدًا أَبَا النصْرِ ُمذْ ُودِّعْت و دعني نصري

فخالد الأولى اسم علم، و الثانية بمعنى باقٍ. و هنا جناس تام.

أما الجناس الناقص يتمثل في: النصر و نصري.

---

[1] محمد بركات حمدي أبو علي، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، دار البشير، عمان الأردن، ط1، 1412هـ، 1992م، ص64.

[2] عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الإصطلاحية، ص336.

[3] المعتمد بن عباد، الديوان، ص154.

[4] المصدر نفسه، ص164.

و قوله (من بحر البسيط):[1]

تُراه عسيــرا أو يسيــرا منالُـــهُ   ألا كُلُّ ما شَاءَ الإلَـهُ يَسيـرُ

و الجناس الناقص بين عسير و يسير، و هناك جناس تام بين يسيرًا و يسيرُ.

و يقول المعتمد بن عباد (من بحر الوافر):[2]

أليس الـمــوتُ أرْوَحَ من حيـــاةٍ   يَطول على الشقي بها الشقَاءُ

و هنا جناس ناقص بين الشقي و الشقاء.

و يظهر الجناس التام في قول الشاعر (من بحر البسيط): [3]

بَكَى المُبَارَكُ في إثْرِ ابنِ أُسْرَتِهِ ... بَكَى لِيَوْمِ بَكَى الزاهـي و قُبَّتُـهُ   و النـهرِ و التَّاجِ كُلُّ ذله بادي

هنا جناس تام بين: (بَكَى الأولى و بَكَى الثانية).

يظهر من خلال ما تقدم أن المعتمد بن عباد قد استعمل بكثرة الجناس، حيث غلبت على معظم اسرياته، و هذا ما زادها رونقا و جمالا. كما يتبين من خلال دراستنا للصورة الشعرية في شعر المعتمد، أنه قد منح عناية فائقة بالزخرفة اللفظية و المحسنات البديعية، فقدم لنا صورة رائعة تميزت بخيال واسع و براعة في التصوير. تجلب انتباه كل من يسمعها فتؤثر في قلبه و عقله.

[1] المعتمد بن عباد، الديوان، ص172.

[2] المصدر نفسه، ص176.

[3] المصدر نفسه، ص161.

إذن، بعد دراستنا للصورة الشعرية في شعر المعتمد بن عباد، ننتقل إلى دراسة الموسيقى الشعرية و التي بدورها تنقسم غلى قسمين: (داخلية و خارجية).

ثالثا: الموسيقى الشعرية:

تسمى الموسيقى الشعرية أو الإيقاع، إذ يمكن القول أن كل موسيقى شعر و العكس، و هذا ما أكده إبراهيم أنيس بقوله: «فليس الشعر في الحقيقة إلا كلامًا موسيقيا تنفعل لموسيقاه النفوس و تتأثر بها القلوب»[1].

إذن، فالموسيقى و الشعر وجهان لعملة واحدة، لكونها تكسب الشعر رونقه، و يحدث تناغما إيقاعيا خاصا، و في دراستنا هذه سنقوم بتناول الموسيقى الشعرية في شعر المعتمد بن عباد و ذلك من خلال ديوانه، حيث سنتطرق للموسيقى بنوعيها: الداخلية: و هي كل ما يتكون منه البيت الشعري من حروف و كلمات، حيث سنتناول فيها العناصر الداخلية لموسيقى الشعر من تصريع و تكرار.

أما الخارجية فيقصد بها الشكل الخارجي للقصيدة. التي تظم كل من «الوزن، القافية ».

و سنتطرق في بداية دراستنا للوزن و كيف استخدمه شاعرنا و مدى تأثيره في نفس المتلقي.

(1) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1965م، ص17.

أ. الوزن: (البحر):

عرفه ابن رشيق بقوله: «الوزن أغظم أركان حد الشعر و أولاها به خصوصية، و هو مشتمل على القافية و جالب لها ضرورة، إلا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيبا في التقفية لا في الوزن...»[1]. واختيار الشاعر للوزن مرتبط بنفسيته و حالته الشعورية، و هاته الحقيقة يقر بها إبراهيم أنيس بقوله: «في الفرح غير ما في الحزن و اليأس و نبضات قلبه حين يمتلكه السرور سريعة يكثر عددها في الدقيقة و لكنها بطيئة حين يستولي عليها الهم و الحزن و لا بد أن تتغير نغمة الإنشاء تبعا للحالة النفسية فهي عند الفرح و السرور متلهفة مرتفعة، و هي في اليأس و الحزن بطيئة حاسمة»[2].

و بهذا، فالوزن هو أحد مظاهر الموسيقى الخارجية، و في دراستنا لشعر المعتمد بن عباد نجده قد سلك نفس مسلك الشعراءالذين سبقوه، إذ أنه نظم قصائده في الأسر على مختلف بحور الشعر، و قد استعان بأوزان خليلية معروفة، و هذا لنقل مشاعره و ما يجيش في صدره، و هذا ما سنوظحه في الجدول الآتي:

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، ص121.

[2] إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص175.

الرقم	البحر	مجموع قصائده و مقطوعاته	النسبة المئوية
01	الطويل	11	%26,82
02	البسيط و مجزوءه	09	%21,95
03	الكامل و مجزوءه	06	%14,63
04	الرمل	03	%7,31
06	الوافر	03	%4,87
07	الرجز و مجزوءه	02	%4,87
08	السريع	02	%4,87
09	الخفيف	02	%4,87

ملاحظة: تم إحتساب النسبة المئوية بالطريقة التالية:

من خلال هذا الجدول يتضح لنا جليا تبوأ "بحر الطويل" للمرتبة الأولى، بنسبة 26,82%، و بعدد إحدى عشر (11) مقطوعة و قصيدة، و يليه البسيط و مجزوءه بتسع (09) مقاطع، أي بنسبة 21,95%.

ليأتي في المرتبة الثالثة الكامل و مجزوءه بست (06) مقاطع أي بنسبة 14,63% ، ثم يأتي في المرتبة الرابعة كل من الرمل و المتقارب و الوافر بثلاث مقطوعات أي بنسبة 7,31%، و أتى بنسبة أقل كل من الرجز و مجزوءه و السريع و الخفيف بنسبة 4,87%، أي يتضمن كل واحد منهم لمقطوعتين.

و قد إعتمد المعتمد على البحر الطويل للتعبير عن حالته النفسية الغارقة في الأحزان و الآلام أيام أسره في أغمات.

و " قد سمي الطويل طويلا لأنه طال بتمام أجزائه"[1].

و من أمثلة بحر الطويل قوله في رثاء أبنائه (من بحر الطويل) :[2]

يَقُولُونَ صَبْرًا لَا سَبِيلَ إِلَى الصَّبْرِ   **سَأَبْكِي وَ أُبْكِي مَا تَطَاوَلَ مِنْ عُمْرِي**

يَقُولُونَ   صَبْرَنْ لَاْ   سَبِيلَ إِلَ صْصَبْرِ   **سَأَبْكِي وَ أُبْكِي مَا تَطَاوَلَ   مِنْ عُمْرِي**

0/0//   0/0/0//   /0//   0/0/0//   **0/0//   0/0/0//   /0//   0/0/0//**

فعولن   مفاعيلن   فعول   مفاعيلن   **فعولن   مفاعيلن   فعول   مفاعيلن**

---

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، ص122.

[2] المعتمد بن عباد، الديوان، ص162.

و الملاحظ، على هذا البيت وجود زحاف القبض، فعولن => فعولُ.

لذا نجد شاعرنا سارعلى منوال القدامى في استخدامه للبحر الطويل. فكان هذا هو الوزن الشعري الذي نظم عليه المعتمد أسرياته، حيث أحدث نغما موسيقيا، فكان للموسيقى دور أساسي في الصياغة الشعرية، حيث ساعدت على وصول الأفكار و المشاعر في صورة صوتية تأنس لها النفس و تجد فيها متعة لا تجدها في الكلام الخالي من الموسيقى، و لذلك قالوا: الشعر موسيقى ذات أفكار.

أما النوع الثاني من الإيقاع الخارجي هو " القافية" و التي تعتبر الشريك الأساسي للوزن في إختصاصها بالشعر.

ب. القافية:

و قد عرفها الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب "العمدة" بقوله: «القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، و القافية غلى هذا المذهب – و هو الصحيح - تكون مرة بعض كلمة و مرة كلمة و مرة كلمتين»[1].

[1] ابن رشبق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، ص135.

أما إبراهيم أنيس فيعرفها بقوله: «ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، و تكررها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية»[1].

و تكون القافية على نوعين، إما مطلقة و هي المتحركة الروي. أو مقيدة و هي الساكنة الروي[2]، و إذا تتبعنا الجزء الثاني من ديوان المعتمد، أي شعره في السجن، نجد غلبة القافية المطلقة و هذه الإحصائيات نبينها من خلال الجدول الآتي:

الرقم	نوع القافية	عدد مقطوعاتها	النسبة المئوية
01	القافية المطلقة	38	%92,68
02	القافية المقيدة	03	%7,31

يتبن من خلال الجدول غلبة القافية المطلقة، حيث وردت بنسبة 92,68% و بعدد مقطوعات بلغ 38 قطعة، في مقابل 3 مقطوعات للقافيةالمقيدة و بنسبة 7,31 %.

(1) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص246.

(2) عبد الرحمن تبرماسين، العروض و إيقاع الشعر العربي، دار الفجر، القاهرة، ط3، 2003م، ص43.

و من أمثلة القافية المطلقة قوله (من بحر الطويل): [1]

أبى الدهُر أن يقْنى الحياءَو يندَما و أن يمحُوَ الذنب الذي كان قدَّما

و هي قافية مطلقة بحرف المد الألف.

و قوله يخاطب الكبل (من بحر الطويل): [2]

تعطف في سَاقِي تعطفَ أرْقَــــــم يـُسَاوُرَها عَضَا بأنياب ضيغـمِ

و هي قافية مطلقة بحرف الميم المتحرك.

و مثال القافية المقيدة قوله (من بحر السريع): [3]

بـُنَيتـي كُونِـــــي بـــه بــــــوةً فقد قضي الدهُر باسَعافـــــهْ

و هي قافية مقيدة بحرف الهاء الساكن.

مما تقدم نستنتج، أن الشاعر اختار القافية المطلقة بنسبة أكبر و هذا يدل على نزعته التقليدية.

و بعد دراستنا للإيقاع الخارجي الذي يندرج ضمنه كل من الوزن و القافية، ننتقل غلى الإيقاع الداخلي الذي يعتبر هو الآخر عنصرا مهما في موسيقى الشعر، حيث سنتناول فيه كل من التصريع و التكرار.

---

(1) المعتمد بن عباد، الديوان، ص158.

(2) المصدر نفسه، ص182.

(3) المصدر نفسه، ص179.

2. الموسيقى الداخلية:

بعد الحديث عن الموسيقى الداخلية إنعكاس للحالة الشعورية التي يعيشها الشاعر، و ما يعتمد عليه من الملكة الإيحائية للحروف و الكلمات، و هذا ما نجده عند شاعرنا المعتمد بن عباد، و الذي سنقوم بدراسة الإيقاع الداخلي في شعره، و ذلك بتناول كل من التصريع و التكرار.

أ. التصريع:

جاء في العمدة:« التصريع هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربة تنقص بنقصه و تزيد بزيادته»[1]، و من خلال هذا التعريف يتبين لنا أن خاصية التصريع تترك جرسا موسيقيا في أذن السامع، حيث يستطيع الشاعر بعذوبتها السيطرة على المتلق، و قد جاءت هاته الخاصية بكثرة في شعر المعتمد.

و من أمثلة التصريع في أسريات المعتمد قوله (من بحر مجزوء الرجز):[2]

كأنَهـــا تُخْبرنِـــــــــي   بأنهـــا تُقْبُرنِـــــــــي

و التصريع يظهر في كلمتي (تخبرني و تقبرني).

---

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، ص156.

[2] المعتمد بن عباد، الديوان، ص151.

و في قوله (من بحر البسيط):[1]

بكَى الُمباركُ في إثر ابْن عَبَّاد ... بَكى عَلى أثْر غِزلانٍ و آســادٍ

و التصريع في هذا البيت يظهر في قوله: عَبَّاد و آسَادٍ.

و قد جاء التناسق الإيقاعي للتصريع في هذا البيت بين كلمتي (كبولُ و حجولُ)، و ذلك في قول الشاعر (من بحر الطويل):[2]

لكَ الحمدُ من بعد السيُوف كُبُولُ ... بِسَاقي منهَا في السُجون حُجُولُ

و قد أحدث هذا التصريع نغما و جرسا موسيقيا في أذن المتلقي.

و قد جاء في القلائد: حين أركبوه أساودًا و أورثوه حزنا بات له معاودًا قال (من بحر الكامل):[3]

غَنتك أغْماتيــة الألحـــــانِ ... ثقلت على الأرْواح و الأبْــدَانِ

و يظهر التصريع بين كلمتي (الألحان و الأبدانِ)، و في هذا البيت يشكو المعتمد قيده و شدة إيذائه له.

---

(1) المعتمد بن عباد، الديوان، ص161.

(2) المصدر نفسه، ص179.

(3) المصدر نفسه، ص183.

ب. التكرار:

يعد التكرار من خصائص الإيقاع الداخلي فهو مظهرا صوتيا ينتج عن العلاقات بين الكلمات و الجمل.

و للتكرار مواضع يحسن فيها و مواضع يقبح فيها: فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني و هو في المعاني دون الألفاظ و أقل[1].

و قد كان للتكرار حضور مميز في أسريات شاعرنا منها تكراره للأفعال والأسماء و الحروف.

و من تكراره للأفعال قوله (من بحر البسيط):[2]

بكى المبارك في إثر ابن عبـــادِ بكى على غزلان و آســـــادِ

بكت ثرياه، لاغمت كواكبهـــــا بمثل نوء الثريا الرائح الغَّـادي

بكى الوحيد، بكى الزاهي و قتبته و النـهر و التاج كل ذله بـادي

و لتكراره للفعل (بكى، بكت)، يحمل دلالة قوية، تنم على حرقة الشاعر و كلامه على عزه و ملكه الذي ضاع بضياعه في الأسر و السجن.

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، ج2، ص92.

[2] المعتمد بن عباد، الديوان، ص161.

و يقول كذلك (من بحر الطويل):[1]

يقولون صبرا لا سبيل إلى الصبر و أبكي ما تطاول من عمري

و في تكراره للأفعال قوله (من بحر البسيط):[2]

يطأن في الطين و الأقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا و كافورا

و في هذا البيت تكراره للفعل (يطأن، تطأ) و هو دلالة على تغير حالته من الملوك و الأمراء إلى البؤس و الشقاء.

و قوله (من بحر الكامل):[3]

قد كان إن سُئِل النَّدى يُـجْــزِلُ و إنْ نَدى الصّريخُ بِبابِه: ارْكَبْ يَرْكَبِ

و دلالة تكرار الفعل هنا: (اركب، يركب) على التأكيد و تقوية المعنى.

كما كان لتكرار الأسماء حضور مميز في أسريات شاعرنا و منه قول المعتمد عندما نزل أسيرا (من بحر مجزوء الكامل): **[4]**

قالوا: الخُضُوعُ سِيَاسَــةٌ فَلْيَبْدُ منك لهم خُضُـوع

و ألذُّ من طعم الخضــوع على فمي، السُّم النقيــعُ

---

[1] المعتمد بن عباد ، الديوان، ص162.

[2] المصدر نفسه، ص169.

[3] المصدر نفسه، ص154.

[4] المصدر نفسه، ص150.

و في هاتين البيتين جاء التكرار في لفظة "الخضوع" حيث زاد التكرار في هذا البيت إنسجاما و نغما موسيقيا، و صورة فنية رائعة.

كما جاء التكرار في قوله (من بحر البسيط) :[1]

و نَارُ بـ رْقِكَ تخبُو إثْر وَقدتِهــا   و نُور قلبي تبْقى الدَّهْر بـ رْكَانَــا

نارُ صميم القلــب أصدُّهَـــا   متى حوى القلبُ نيرَانا و طُوفَانا

و هنا جاء تكراره للفظة "نَارُ"، و هي دلالة على حرقته على إبنيه المأمون و الراضي.

و في تكراره "للأسماء" قوله (من بحر المتقارب):[2]

تبدلتُ من عزّ ظلّ البـ نـــود   بذُلّ الحديد و ثِقْل القُيـــودِ

و كان حديدي سنانا ذَليقـــا   و عضْبا دقيقا صقيل الحديـدِ

فكان التكرار هنا للفظة " الحديد"، و هنا يصف القيد الذي كان ثقيلا ثقل الحديد.

و في تكراره للحروف قوله (من بحر الوافر):[3]

و لا تعجبْ لخَطْب غضّ منـــهْ   أليس الخسفُ مُلْتزم البـ ـــدُور

وَرَجَّ يجبر عُقْبَـــى نَـــــداه   فَكَمْ جَبَرتْ يَدَاه منْ كسِيـــر؟!

---

[1] المعتمد بن عباد، الديوان، ص166.

[2] المصدر نفسه، ص170.

[3] المصدر نفسه، ص174.

و كم أعْلَتْ عُلاه مِنْ حضِيض؟ و كم حطتْ ظُباه مِنْ أميــر؟!

و كْم أحْضى رضَاه من حظـي؟ وَ كمْ شهرتْ عُلاه من شهير؟!

و هنا جاء تكراره لحرف الواو الذي يدل على الربط، كما كان تكراره للأداة "كم" و هي دالة على التعجب و الإستفهام.

فالملاحظ، أن هذه التكرارات قد تركت بصمتها لدى القارئ، و ذلك بما أحدثته بنغمتها الموسيقية الساحرة، و نبرتها الإيقاعية الجميلة، فاللتكرار دور في التأكيد على المعنى و تقويته في ذهن السامع.

هكذا جاءت دراستنا الفنية لشعر الملك الأسي، و التي من خلالها تناولنا لغته الشعرية، و المصادر التي استقى منها شعره، كما تناولنا الصورة الشعرية، إلى جانب الموسيقى الشعرية، رغبة في الوقوف عند قيمتها الجمالية و ما أحدثته من أثر في المتلقي.

خاتمة

لا بد لنا و نحن ننهي هذا البحث الموسوم بشعر السجن عند المعتمد بن عباد "دراسة فنية" أن نقف وقفة وجيزة لاستعراض أهم النتائج التي توصلنا إليها، و التي نوجزها كالآتي:

1. تميزت البيئة السياسية في عصره بانقسام الأندلس إلى دويلات عرفت بدويلات الطوائف، و عرف ملوكها و حكامها بملوك الطوائف، كما تميزت البيئة الإجتماعية بانقسام المجتمع إلى طبقات، فكانت إشبيلية ثقافيا و أدبيا أحسن حالا من الجانب السياسي.
2. لم تعرف حياة الشاعر الإستقرار حين مرت بمراحل ثلاث بدْا بمرحلة الإمارة، ثم الملك وصولا إلى مرحلة أسره و سجنه، إذ عانى خلالها الذل و الهوان.
3. إحتل المعتمد الشاعر مكانة عظيمة في الأدب الأندلسي، فكان له ديوانين، الأول من تحقيق رضا الحبيب السوسي، و هو الديوان الذي إعتمدناه في بحثنا، أما الثاني فهو من تحقيق أحمد أحمد بدوي، و حامد عبد المجيد.
4. تركزت أشعار المعتمد بن عباد الأسرية على الشكوى، فشكى الدهر و السجن و السجان و القيد، كما حن لوطنه، و ذاق آلام الغربة، فعبر عن موقفه من هذه التجربة الأليمة من خلال أشعاره الأسرية.

5. برز الشاعر المعتمد بن عباد مقلدا للقدامى في طريقة علاجه لموضوعاته، و خاصة الأسرية منها.

6. وجدنا معجمه الشعري يزخر بألفاظ الحزن و الألم تارة، و ألفاظ الطبيعة الأندلسية تارة أخرى. فكانت لغته و أسلوبه ترتكز على الوضوح و البساطة، بعيدة عن التكلف و التصنع.

7. كان للصورة الشعرية حضور واسع في أسريات الشاعر حيث تنوعت بين المحسنات البيانية، إلى جانب المحسنات البديعية.

8. تنوعت الموسيقى الشعرية في أسرياته بين الخارجية و الموسيقى الداخلية، فاستخدم الموسيقى الشعرية الحزينة، التي عبر من خلالها عن واقعه و هو بين جدران السجن.

و في الختام أسأل الله أن أكون قد وفقت فيما توصلت إليه من نتائج.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولا: المصادر:

ابن الآبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ج2، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985.

أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد الرابع، ج4، دار صادر، بيروت، 1388هـ، 1968.

المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،ط1، 1426هـ، 2006م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ج19، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1417هـ، 1996م.

ابن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، ج4، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1984.

المعتمد بن عباد، الديوان، تحقيق رضا الحبيب السويسي، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1975.

أبي الحسن علي ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق غحسان عباس، القسم الثاني، المجلد الأول، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417هـ،، 1997م.

أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشعر، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، ج1، المكتبة العصرية، ط1، 1422هـ، 2001م.

عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1409،1هـ، 1988م.

الخطيب القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الخطيب القزويني، التلخيص في وجوه البلاغة، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1904م.

<u>ثانيا: المراجع:</u>

يوسف عيد، دفاتر أندلسية، المؤسسة الحديثة، طرابلس،(د.ط)، 2006م.

إسماعيل بن غبراهيم بن أمير المؤمنين، تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط من خلال «مخطوط تاريخ الأندلس»، تحقيق أنور محمود الزناتي، جامعة.

عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي في المغرب و الأندلس، ج4، دار العلم، ط1، بيروت، لبنان، 1984م.

علي أدهم، المعتمد بن عباد، المؤسسة المصرية، مصر، د.ط، د.ت.

إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف و المرابطين، دار الشروق، عمان، (د.ط)، (د.ت)، 1997م.

عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة، دار غيداء، عمان، ط1، 1433هـ، 2012م.

أمحمد بن عبود،مباحث في تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار غيداء، كركوك، العراق، ط1، 1433هـ، 2012م.

حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي، منشورات زرياب، الجزائر، 1993م.

عيسى خليل محسن، أمراء الشعر الأندلسي، دار جرير، ط1، عمان، الأردن، 1428هـ، 2007م.

بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس و عصر الإنبعاث، دار نظير عبود، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

فورار محمد بن لخضر، الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية، دار الهدى للطباعة و النشر، عين مليلة.

صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة، عمان، ط1، 1427هـ، 2007م.

فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، كلية الداب و العلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993م.

محمد شهاب العاني، الشعر السياسي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، دار دجلة، ط1، 1429هـ، 1985م.

محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1.

سعيد أحمد غراب، أطياف من تاريخ الأدب العربي و نصوص في الأندلس، دار العلم و الإيمان، (د.ط)، (د.ت).

آزار محمد كريم الباجلاني، المجالس الشعريةفي الأندلس، دار غيداء، عمان، الأردن، ط1، 2013م.

محمد أحمد دقالي، الحنين في الشعر الأندلسي، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2008م.

جودت الركابي في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة، 1969م.

بدوي طبانة، البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1377هـ، 1958م.

عبده عبد العزيز قلقلية، البلاغة الإصطلاحية، دارالفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، 1412هـ، 1992م.

محمد بركات حمدي أبو علي، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، دار البشير، عمان، الأردن، ط1، 1412هـ، 1992م.

إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1965م.

عبد الرحمن تبرماسين، العروض و إيقاع الشعر العربي، دار الفجر، القاهرة، ط3، 2003م.

عصام محمد شارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1423هـ، 2002م.

سعد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

ثالثا: الكتب المترجمة:

آنخل جونثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط)، (د.ت).

رابعا: المجلات:

محمد السعودي، خالد خليفات، أسريات المعتمد بن عباد، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الأول و الثاني، 2011م.

خامسا: الرسائل الجامعية:

خميسي بولعراس، الحياة الإجتماعية و الثقافية للأندلس فس عصر ملوك الطوائف، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة باتنة،2006م، 2007م.

إبن عبدالرحمن سهام، شعر ابن عمار الأندلسي،دراسة موضوعية وفنية،كلية الآداب و اللغات،قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2008م، 2009م.

نضال سالم النوافعة، الأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه، إشراف سمير الدروبي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة مؤتة، 2008م.

فهرس الموضوعات

ج. مرحلة الأسر

3.وفاته

4.آثاره

<u>**الفصل الأول: موضوعات السجن في شعر المعتمد بن عباد.**</u>

أولا: التعريف بشعر السجن عند المعتمد بن عباد

ثانيا: موضوعات شعر السجن عند المعتمد بن عباد

1. الشكوى
2. وصف السجن و السجان
3. وصف القيد
4. الحنين و الشوق
5. آلام الغربة

ثالثا: موقف الشاعر من تجربة السجن

<u>**الفصل الثاني: البناء الفني في شعر السجن عند المعتمد بن عباد.**</u>

أولا: اللغة و الأسلوب

1.اللغة

1.1. المعجم الشعري

1.2. ألفاظ الحزن و الألم

1.3. ألفاظ الطبيعة

2.الأسلوب

ثانيا: الصورة الشعرية

1.الصورة البيانية

أ. التشبيه

ب. الكناية

ج. الأستعارة

2.المحسنات البديعية

أ. الطباق

ب. السجع

ج. الجناس

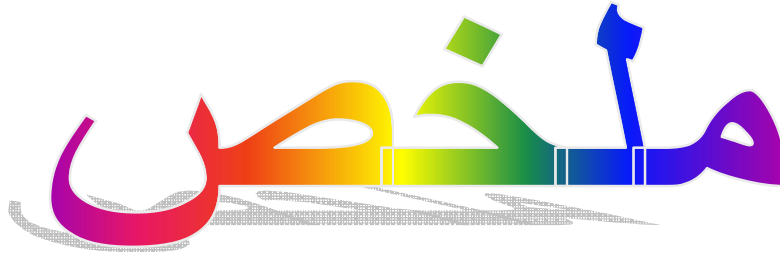
ثالثا: الموسيقى الشعرية

1.الموسيقى الخارجية

أ. الوزن (البحر)

ب. القافية

2.الموسيقى الداخلية



موضوع هذا البحث هو شعر السجن عند المعتمد بن عباد "دراسة فنية"، حيث تناولت بيئة الشاعر السياسية و الإجتماعية و الثقافية، كما تطرقت إلى حياة المعتمد بن عباد و التي تمثلت في مولده، ثم مراحل حياته، ثم وفاته،ليتم التطرق بعدها لآثاره و أهم أعماله الأدبية، و عن الموضوعات التي تناولها المعتمد في سجنه فإنها دارت كلها حول الشكوى، حيث شكى السجن و السجان،كما شكى آلام القيد، و حن إلى وطنه، كما ذاق آلام الغربة، و عن البناء الفني في شعر السجن عند المعتمد فقد تناولت فيه كل من اللغة و الأسلوب و الموروث الديني و الأدبي للشاعر، إلى جانب الصورة الشعرية التي ضمت كل من الصور البيانية و المحسنات البديعية و الموسيقى الشعرية التي تنوعت بين الخارجية و الداخلية.

Nous avons mené une enquête sur "la poésie de la prison" en principe le poète "el-moatamid ibn Abade" sa biographie et son environnement culturelle, social et politique et surtout les sujets de sa poésie. En outre, cette étude se consacre sur la langue, le style et les penchants religieux et littéraires du poète, en plus les figures de style, le ton et le rythme.